كتب سياسية

مجموعة عربية ١٠٠٪



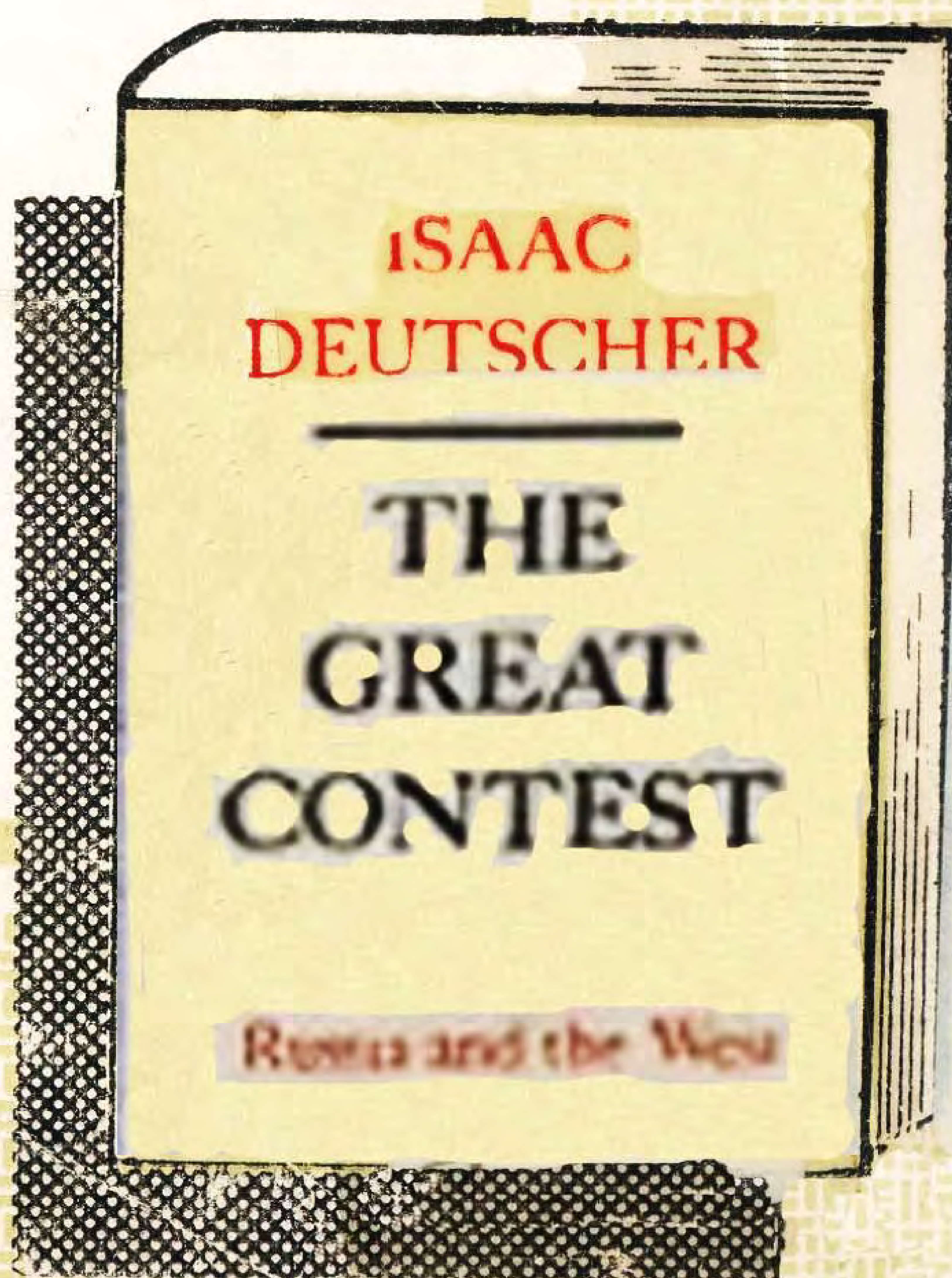
الصراع الكبير

بين روسيا والغرب

بقلم: إيزاك دويتشر

ترجمة: محمد خليل مصطفى

مراجعة: محمود فتحي عمر



كتب سياسية

الصراع الكبير

بين روسيا والغرب

بقلم: ايزاك دويتشر

ترجمة: محمد خليل مصطفى

مراجعة: محمود فتحي عمر

تقديم

يتناول كتاب الصراع الكبير بين الشرق والغرب موضوعا من أهم الموضوعات التى تشغل بال العالم فى الوقت الحاضر . وقد أوضح مؤلف هذا الكتاب – ايزاك دوتشر – هذه الحقيقة فى مقدمة كتابه . ولا شك أن الصراع القائم بين روسيا والغرب هو السبب الرئيسى فى التوتر الدولى القائم منذ الحرب العالمية الثانية التى انتهت بظهور كتلتين دوليتين متنافستين : الكتلة الشرقية ويتزعمها الاتحاد السوفيتى والكتلة الغربية وتتزعمها الولايات المتحدة .

وهذا الكتاب هو عبارة عن مجموعة من المحاضرات التى ألقاها المؤلف فى مناسبات مختلفة عن سياسة الاتحاد السوفيتى بالنسبة للعالم الغربى وقد قام بجمع هذه المحاضرات وأخرجها فى هذا الكتاب بناء على طلب مستمعيه .

ويتكون هذا الكتاب من أربعة فصول : تحدث المؤلف فى الفصل الاول عن الحياة الداخلية فى الاتحاد السوفيتى بعد موت ستالين . وقد تناول جميع جوانب الحياة السوفيتية أو حاول أن يقارن بين روسيا فى عهد ستالين وروسيا فى عهد خروشوف ليبرز مدى التغير الذى طرأ على هذه الدولة فى الفترة الاخيرة ، وكيف أن نفسية الشعب السوفيتى قد تغيرت مع هذا التغير السياسى . وأشار المؤلف الى أن عصر الارهاب الذى تميز به حكم ستالين لا يمكن أن يعود لان الشعب تعود الآن على نسبة ضئيلة من الحرية لم يتمتع بها من قبل .

وفى الفصل الثانى تحدث المؤلف عن الجو الفكرى والادبى فى الاتحاد السوفيتى . وناقش بعض المشكلات التى تعانى منها روسيا فى الوقت الحاضر وكيف يحاول الزعماء السوفيت التغلب

على هذه المشكلات . كما أشار الى مسألة الاديان فى الاتحـــاد السوفيتى ، والاضطهاد الذى كان يتعرض له اليهود فى عهـــد ستالين ، وكيف أن رواسب هذا الاضطهاد ما زالت موجودة حتى فى هذه الفترة .

وفى الفصل الثالث تحدث المؤلف عن السياسة الخارجية وأوضح انها امتداد للسياسة الداخلية للاتحاد الســـوفيتى . ويقول المؤلف ان روسيا وضعت سياستها الخارجية على أساس اللحاق بالولايات المتحدة والتفوق عليها بعد ذلك . وهو لهـذا أبرز النواحى التى يهتم بها خروشوف فى الولايات المتحدة .

وفى الفصل الرابع والاخير تحدث المؤلف عن مظهر من أهم المظاهر التى ينطوى عليها الصراع بين الشرق والغـــرب ـ وهو التعايش السلمى . ثم تحدث بعد ذلك عن معنى التعـــايش . وأوضح انه عبارة عن تنافس بين نظامين متعارضين فى المجـال الاقتصادى مع استخدام الوسائل السياسية ، بشرط الا يؤدى ذلك الى نشوب حرب أو الى تهديده بالحرب .

مقدمة

في هذا الكتيب أقدم نص المحاضرات التى القيتها في الخريف الماضى بدعوة من مؤسسة ديفو والمعهد الكندى للشئون الدولية في مونتريال وتورينتو ووينيبج فى خريف عام ١٩٦٠ . وقد قمت بنشر هذا الكتاب بناء على طلب الذين أشرفوا على تنظيم هذه المحاضرات وبعد أن تلقيت طلبات متعددة من الجمهور الذى استمع الى هذه المحاضرات ، واعتقادا منى بأن ما قيل هنا عن الاتحاد السوفيتى والشئون الدولية قد يهم عددا كبيرا من القراء .

وتبدأ هذه الدراسة بتلخيص قصير لآخر التطورات الداخلية فى الاتحاد السوفيتى . وقد حاولت هنا ان أضيف أشياء جديدة الى التحليل الذى قمت به فى عام ١٩٥٣ بعد موت ستالين مباشرة وتناولت فيه الاتجاهات السياسية والاجتماعية عندما تكهنت فى كتابى « روسيا بعد ستالين » بتصفية المبادىء الستالينية . وقد أضفت أيضا محاضرة بعنوان الجو الادبى والفكرى فى الاتحاد السوفيتى ، « وهذه المحاضرة ألقيتها فى المؤتمر السنوى لرابطة الخريجين بجامعة مانيتوبا . وقد ناقش هذا المؤتمر مكان الجامعة فى المجتمع الحديث » . وقد تناولت الحياة الفكرية السوفيتية مع اشارة خاصة الى هذا الموضوع .

ولكن استعراضى للاحوال الداخلية فى الاتحاد السوفيتى كان من قبيل التقديم لموضوعى الرئيسى ، وهو السياسةالخارجية السوفيتية وأحوال الشئون الدولية . والحاجة الى مثل هذا التقديم ترجع الى أن السياسة الخارجية فى أية حكومة ــ خاصة حكومة الاتحاد السوفيتى ــ تعد امتدادا لسياستها الداخلية . وهذه الحقيقة قد نسيناها تماما فى فترة اجتماعات « الاقطاب »

عندما كان الشعب يعتقد أن الثلاثة أو الاربعة الكبار فى استطاعتهم أن يحلوا المشكلات الدوليـــة اذا كانت لديهم الحكمة أو حسن النية أو العصا السحرية المطلوبة لمثل هذه المهمة . وقد حاولت أن أركز اهتمامى على الدوافع الرئيسية والامانى البعيدة المدى للسياسة الســوفيتية ، كما حاولت أن أتحســـس « نواحى الخوف » الذى يميز حالة الدبلوماسية العالمية فى الوقت الحاضر .

واخيرا حاولت آن أستعرض فى الفصـــــل الاخير معـانى « التعايش والمنافسة السلمية » التى ما زالت غير واضحة والتى هى فى رأيى ستقرر نتائج الصراع الكبير بين الشرق والغرب فى الربع الاخير من هذا القرن اذا لم يكن قبل ذلك وانى لا أتوقع أن تحوز آرائى قبول الجميع ، ولكنها ستخدم غرضها اذا وجهت الاهتمام الى الجوانب غير الواضحة من المشكلات قيد البحث .
وختاما أود أن أقول أننى أوجه ــ فى غير تبســـط او ميل ــ نداء من أجل نزع السلاح .

الفصل الاول

روسيا فى عهد خروشوف

يجب ان نعتبر السنوات القليلة التى انقضت منذ موت ستالين فترة قصيرة جدا فى التاريخ ، ولكن هذه السنوات تعتبر فى حياة الاتحاد السوفيتى فترة حرجة ومليئة بالاحداث التى يمكن أن نشتم من ورائها « تغيرا فى الجو » وتفاعلا بين كثير من الدوافع السياسية والاجتماعية واستجماعا لفترة تاريخية جديدة فى حياة دولة كبيرة . ففى بعض الاوقات كان الاتحاد السوفيتى يتحرك بعيدا عن المبادىء الستالينية بشدة وبوضوح ، وفى البعض الآخر كان يتحرك بعيدا عنها ببطء وغموض فالى أى مدى سار الاتحاد السوفيتى ؟ والى أين يسير الآن ؟ .

ليس هناك شك فى أن الاتحاد السوفيتى منذ عام ١٩٥٣ قد سار فى طريق الانقلاب على المبادىء الستالينية . وكان هذا الانقلاب قويا وشاملا لدرجة انه لم تبذل محاولة علنية للاحتفاظ بنظام الحكم الستالينى عموما كما أن المحاولات التى بذلت لم تتهيأ لها فرصة للنجاح ولكن الانقلاب لم يصل الى حد التجاهل التام لسجل عهد ستالين . فلا يمكن أن يعتبر أنه قد بلغ هذا الحد أن تقييم هذا السجل قد يظل مسألة من مسائل الجدال التاريخى والسياسى لفترة طويلة . ولكن من الواضح تماما أن هذا السجل كان يجمع كثيرا من التعقيدات غير العادية . وينطوى على كثير من الاصول والخصوم التى لا يمكن الفصل بينها بسهولة .

فقد خرج الاتحاد السوفيتى من عهد ستالين وهو فى حالة تختلف تمام الاختلاف عن الحالة التى بدأ بها هذا العهد . وكان الحكام والمحكومون على السواء يشعرون بهذا الاختلاف . فبعد

ان كان الاتحاد السوفيتي من أكثر دول العالم تخلفا وفقرا واقرب ما يكون الى الهند والصين فى كثير من النواحى أمكنه خلال جيل واحد أن يصبح الدولة الصناعية الثانية فى العالم . ففى العقد الثالث من هذا القرن كان معظم الفلاحين السوفييت يحرثون الارض بمحاريث مصنوعة من الخشب . وفى العقد السادس من هذا القرن أدى الاتحاد السوفيتي دورا بارزا فى تطوير العلوم النووية . وفى بداية عهد ستالين كان حوالى عشر الايدى العاملة السوفيتية تشتغل فى الصناعات الحديثة وفى الوقت الحاضر نجد أن نصف الايدى العاملة تستخدم فى هذا الغرض . وفى خلال الثلاثين عاما زاد سكان المدن فى الاتحاد السوفيتي بمقدار ٧٥ مليون نسمة ، واتسعت المدن القديمة وظهرت مدن جديدة .

ولكن ارتفاع روسيا الى مصاف الدول الصناعية الكبرى لم يصاحبه أى ارتفاع مماثل فى مستوى معيشة الشعب . فهذا المستوى كان منخفضا للغاية قرب نهاية عهد ستالين . وتطور الاقتصاد السوفيتي الموجه كان من جانب واحد فقط فقد اهملت تماما احتياجات ومصالح جمهور المستهلكين وبصرف النظر عن قلة البضائع عموما فان قلة المساكن وازدحام المدن بالسكان اصبح بمثابة كارثة قومية . كذلك أصبحت البلاد مليئة بالسخط والاستياء السياسي فالعمال الذين يشعرون بالظلم بسبب نظام العمل المرهق والقيود غير الانسانية التى تفرضها المصانع والخوف من معسكرات السخرة كان تحت رحمة المديرين وزعماء الحزب ولم يكن فى استطاعتهم البحث عن أى علاج عن طريق نقابات العمال . كذلك كانوا يشعرون بالاستياء بسبب عدم المساواة التى كانت تسير عليها سياسة ستالين الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تهتم بطبقة موظفى الدواوين وتقسم طبقة العمال الى أقلية تتمتع بامتيازات وتحصل على أجور مرتفعة وأغلبية تحصل على أجور منخفضة .

وكان الفلاحون يشعرون بالسخط تجاه طبقة موظفى الدواوين التى كانوا يعيشون ويعملون تحت سيطرتها . فلم يكن فى استطاعتهم حرث المزارع الجماعية بالطريقة التى يريدونها .

وكان جباة الضرائب ينتزعون نصف محصولاتهم . لقد كان سخط الفلاحين سببا من أسباب تخلف الزراعة وبقائها فى حالة ركود ، الامر الذى حال دون تحسين مستويات المعيشة فى المدن .

وأخيرا كانت طبقة المثقفين تعانى من قبضة المتطرفين التى كانت تخنقهم والتى لم يستطيعوا التخلص منها ـ فكانت الرقابة الشديدة لها السلطة العليا فى كل مجالات العلوم والفنون والآداب . وكانت الدولة مليئة بالجواسيس والوشاة ولذلك كانت جميع الطبقات الاجتماعية تكره هذه الدولة البوليسية .

ولم يحدث في التاريخ ان كان هناك سجل حافل بكل هذه المتناقضات الغريبة . كذلك يندر أن تنظر دولة الى احد فصول تاريخها بمثل هذا الشعور المضطرب والمختلط وبمثل هذا المزيج من العظمة والعار . والمشكلة كما قلت تتمثل فى عدم القدرة على فصل العناصر المختلفة التى تكون منها حكم ستالين ـ فالخير والشر كانا متداخلين بصورة غريبة وهذا يفسر غموض الموقف السوفيتى تجاه موقف ستالين ، هذا الغموض الذى سأناقشه بالتفصيل . ولكن ظهرت من خلال هذا الغموض الرغبة الشديدة فى التغيير والاصلاح .

وكانت هناك رغبة لا تقاوم فى تصفية المبادىء الستالينية حتى فى الفترة مابين ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦ قبل المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى فقد كانت جميع الطبقات الاجتماعية تشعر أنها لا تستطيع أن تعيش كما كانت من قبل . ولكن اية طبقة أو جماعة لم تكن تستطيع أن تعرب عن آرائها السياسية أو تطالب بوضع برامج للاصلاح وتحارب من أجل تنفيذها . وقد تركت السنوات الطويلة من الحكم الاستبدادى البلاد مفككة سياسيا . ولكن رد فعل البلاد ضد المبادىء الستالينية قد مهد له تطور البلاد الصناعى والثقافى الذى تم فى هذه الفترة بالذات .

ومن السهل أن نرى المطالب التى كان سيتقدم بها العمال والفلاحون لو كان فى استطاعتهم التعبير عن رأيهم . فمن المؤكد ان العمال كانوا سيطالبون بالغاء قانون العمل الذى وضعه ستالين واقامة علاقات جديدة بين العامل وصاحب العمل ، واحياء

نقابات العمال ، والحصول على الحرية للدفاع عن مصالح العمال ؛ ووضع سياسة جديدة للاجور تقضى على الفروق الضخمة بين المكاسب المرتفعة والمكاسب المنخفضة وتعديل السياسة الاقتصادية وزيادة انتاج البضائع الاستهلاكية وتوفير المساكن واخيرا اشراف العمال على الصناعة .

ومثل هذا البرنامج الاصلاحى كان سيقوم على اساس خبرة العمال واحتياجاتهم اليومية . ونظرا لان هذا البرنامج أقتصادى فى طبيعته فانه لم يكن ليؤثر فى السياسة الدولة والداخلية . ونحن نعرف الان من كثير من التقارير الرسمية وغير الرسمية أن العمال استخدموا فعـلا بعض الضغط من أجل تحقيق هـــذه المطالب . وكان هذا الضغط غير منظم ومناسب ومحدود . وظهر هذا الضغط داخل المصنع ومحل العمل . ولكن هذا الضغط لم يتطور او يتخذ شكل حركة قومية معترف بها وقد كان خلفـاء ستالين يقضون على أى نشاط تقوم به الطبقة العاملة . ويبدو أن الدافع لمثل هذا النشاط كان ضعيفا الى حد ما فبعد أن عاش العمال سنوات طويلة تحت حكم استبدادى لم تكن لديهم فرصة للحصول على خبرة فى التعبير عن آرائهم أو تنظيم انفسهم ولم تكن لديهم فرصة لتكوين منظمات أو جماعات خاصة بهم لاعلان مطالبهم أو انتخاب ممثلين عنهم . ولم يكن فى استطاعتهم أن يتعلموا كيف يفعلون هذه الاشياء ونظرا لان حـكامهم كانوا يعملون كل ما فى وسعهم من ذلك وهكذا ظل سخط العمال مكبوتا .

واذا كانت هذه هى أحوال العمال الصناعيين الذين يعتبرون من أقوى الطبقات فى الاتحـاد السوفييتى فان حالة الفلاحين الذهنية لم تكن تختلف كثيرا فلم تعد هذه الطبقة فى كثير من النواحى كما كانت من قبل فأصبحت اقلية فى الاتحاد السوفيتى وعانت من جحيم الحرب الاخيرة : فمعظم العشرين مليونا الذين قتلوا فى هذه الحرب كانوا من الفلاحين وبعد انتهاء الحرب بفترة طويلة لم يكن يعمل فى حقول روسيا وأوكرانيا سوى النساء العجائز والشيوخ والعجزة والأطفال ويمكننا أن نتصور كيف اثرت هذه الكارثة فى روح الطبقة الزراعية . فلم يكن فى استطاعة الفلاحين أن يعبروا عن آرائهم السياسية أو يكونوا منظمات خاصة بهم .

ومع هذا فقد وجد الفلاحون بعض المنافذ للتعبير عن سخطهم فكانوا يحرثون الارض على مضض وكانوا ينتجون قليلا ويرغمون الحكومه على الدخول فى حرب مريرة من أجل لقمة العيش عاما بعد عام . ولذلك كانوا يعرضون مستقبل التصنيع للخطر. وكانت مطالب الفلاحين واضحة فكانوا يطالبون بالحرية والاستمتاع بثمار جهودهم وانهاء نظام جباية الضرائب التعسفى وزيادة السلع الصناعية وزيادة التبادل الاقتصادى المريح بين القرية والمدينة . ولم يسمع أحد على الاطلاق مطالب الفلاحين هذه لانهم لم يرفعوا أصواتهم بها .

أما موقف الطبقة المثقفة وطبقة المحترفين وطبقة موظفى الدواوين فقد كان يختلف فى كثير من النواحى عن موقف العمال والفلاحين . فهذه الطبقات كانت تتمتع بالامتيازات فى عهد ستالين فقد سمح لهم بل عاونهم على الاستمتاع بثمار البلاد فى حين كان الآخرون يموتون جوعا . ولكن حتى هذه الطبقات لم تكن راضية عن الوضع القائم . فالمفكرون والفنانون والعلماء وجميع أولئك الذين كانت تقتصر مهمتهم على الخروج بآراء جديدة قد ثاروا ضد السياسة المتطرفة التى كانت تفرض رقابة شديدة على آرائهم .

واصبح الكتاب لفترة من الوقت طليعة الحركة الاصلاحية لا لأنهم يتمتعون بشجاعة غير عادية ولكن لانهم فى مثل هذه الدولة الصامتة يعتبرون الفئة الوحيدة التى تستطيع التعبير عن آرائها . فحتى بعد السنوات الطويلة من الرقابة والقيود المفروضة عليهم ظلوا يحتفظون بهذه القدرة وان كانت عاجزة الى حد ما . وهكذا فان الرجال الذين كانوا عبيد ستالين المفكرين قد أصبحوا فجأة المتحدثين باسم أمة فى ثورة صامتة .

وثمة مظهر آخر من مظاهر التناقض فى الاتحاد السوفيتى وهو أن قطاعا كبيرا من الطبقة الديوانية كان يحتج على الاستبداد الديوانى فأعضاء الحزب الشيوعى والمديرون الاداريون والمديرون الصناعيون هم الذين رفعوا ستالين الى الحكم واصبحوا من بين أفراد حاشيته . ولكن بمجرد أن ارتفع ستالين الى الحكم داس بقدميه على هذه الحاشية . ولم يكن هناك أحد يشعر بالامن حتى

بين أقرب المقربين اليه . ولذلك فعندما مات ستالين استطاعت الامة بأكملها أن تسمع زفرة الارتياح المكبوتة من أعضاء مجلس السوفييت وهذه الزفرة رددتها جميع مستويات الهرم الديوانى . لقد كانت الطبقة الديوانيه المتمتعة بكثير من الامتيازات لها أيضا آمالها وآلامها فكان المديرون الصناعيون يأملون فى تخليص أنفسهم من السيطرة المركزية العليا التى حرمتهم الابتكار وحرية التصرف اللازمتين للمحافظة على كفاية الادارة . واحس المديرون الاداريون وزعماء الاحزاب ، ابتداء من موسكو حتى أصغر القرى وابعدها ، بارتياح شديد عند موت ستالين لانهم اعتقدوا أن هذه هى نهاية التدخل الاستبدادى فى شئونهم . وهكذا .فان معظم أفراد الطبقة البيروقراطية كانت تقف الى جانب طبقة المثقفين والشعب السوفيتى عموما فى ثورته على المبادىء الستالينية . وهذهالحقيقة على جانب كبير من الاهمية لانه اذا كانت طبقة المثقفين هى التى تستطيع وحدها أن تتكلم فى دولة تعيش فى صمت سياسى فان الطبقة الديوانية هى وحدها التى تستطيع أن تعمل .

هذه اذن هى الحقائق التى ساعدت على تطور الاتحاد السوفيتى والانقلابات الشاملة ضد المبادىء الستالينية ، والاتفاق المؤقت بين الحكام والمحكومين على الرغبة فى الاصلاح ، وعجز الطبقات الاجتماعية خاصة العمال والفلاحين عن اثبات وجودهم ، وعدم وجود حركة سياسية منظمة من الشعب . وأخيرا احساس الطبقة الحاكمة بضرورة ادخال اصلاحات واستعدادها لذلك . ونظرا لعدم وجود حركة معاديه لستالين من بين الشعب فان الاصلاح يمكن أن يأتى من الطبقة الحاكمة . ولم يستطع خلفاء ستالين تصفية مبادئه بسرعة بطريقة تتمشى مع احتياجات الامة، وقد كانوا جميعا شركاء لستالين سواء برغبتهم أو على غير رغبتهم . ولم يكن فى استطاعتهم كشف جميع عيوب حكم ستالين فلم يستطع خروشوف ومالينكوف — ولا نقول مولوتوف وبيريا وكاجانوفيتش الذين ساعدوا ستالين على القيام بحملاته الارهابية الدموية وانشاء معسكرات الاعتقال والقضاء على جميع خصومه — أن يقولا شيئا عن حقيقة هذه الاعمال فقد كان يجب أن تعرف الحقيقة قبل القضاء على شرور هذه الفترة نهائيا . وبدون فضح

عيوب حكم ستالين كان من المســـتحيل التغلب على المبادىء الستالينية والقضاء عليها نهائيا .

وقد يتساءل البعض لماذا لم تعتمد هذه الدولة بعد موت ستالين على رجال ذوى سجلات ناصعة غير أولئك الذين كانوا يشتركون مع ستالين فى سياسته وأعماله والجواب بسيط للغاية: فجميع الزعماء المعادين لستالين قد تم القضاء عليهم ولم يكن فى استطاعة هذه الدولة أن تأتى بزعماء جدد بين عشية وضحــاها . وتصفية المبادىء الستالينية أصبحت ضرورة قوميــة بالنسبة للاتحاد السوفيتى ولكن نظرا لعدم وجود زعماء معادين لستالين للقيام بهذه المهمة فان هذه العملية وقعت على أكتاف انصار ستالين الكبار الذين لم يستطيعوا أن يقوموا بأكثر من نصف المهمة . لقد كانت الظروف هى التى فرضت عليهم هذه المهمة ، ولقدواجهوها وهم منقسمون على انفسهم وفى تفكيرهم . لقد كانوا يتراوحون بين الصراحة والنفاق وبين الشجاعة والخوف وبين خوفهم من المبادىء الستالينية ورغبتهم فى التخلص منها لقد كان يجذبهم الماضى الى الوراء ويشدهم المستقبل الى الامام .

ولقد اظهر هذا الانقسام بوضــوح الصراع والتنافس بين خلفاء ستالين فالانقسام بين المصلحين والمحافظين وبين أعــداء ستالين وأنصاره قد ظهر فى كل مسألة من مسائل السياسة . ولقد عكست الطريقة التى سار بها هذا الصراع المتناقضات المتعددة التى كان ينطوى عليها الموقف ، فالطبقة الحاكمة كانت تتشبث بعادات ستالين وفى الوقت نفسه تحاول التخلص منها . لقــد كان يظهر هذا الصراع بوضوح فى شخصــية خروشوف . ففى نضاله للوصول الى الحكم كان يتصرف فى الوقت ذاته مثــل ستالين ، وعلى عكس ستالين . وقد اتخــــذ موقفا وســـطا بين الجماعات المتعارضة فكان يتمسك بآراء فريق فى وقت ما ثم ينضم الى الفريق الثانى فى وقت آخر . وقد عمل ، أكثر من أى شخص آخر ، على التخلص من المبادىء الستالينية المتطرفة ولكنه كان أيضا يدافع عنها . لقد تخلص من خصومه ومنــــافسيه من اليمينيين واليساريين ولكنه باستثناء موضوع بيرياخاصة لم يحاول القضاء عليهم ــ فلم يطرد مالينكوف أو مولوتوف من الحــزب .

ويبدو انه تخلص من الزعامة الجماعية كما فعل ستالين ولكنه لم يصبح الرجل الاستبدادي كما كان ستالين .

وقد حاول خلفاء ستالين أكثر من مرة العودة الى مبادئه وحدث ذلك بعد ثورة برلين عام ١٩٥٣ وفى أثناء الحرب الاهلية فى المجر . فهذان الحادثان جعلا خلفاء ستالين يشعرون بالاخطار الكامنة فى تصفية المبادىء الستالينية كما ساعدا على تقوية نفوذ أولئك الذين كانوا يعارضون الاصلاح . ولم يكن من قبيل الصدفة انه بعد شهور قليلة من ثورة بودابست وشك مولوتوف وكاجانوفيتش على الاطاحة بخروشوف . ولكن جميع المحاولات التى بذلت لوقف تيار الاصلاح لم تحرز سوى نجاح محدود ووقتى .

لقد هدفت السلسلة الطويلة من الاصلاحات الى رفع الكفاية الاقتصادية والاجتماعية كذلك تم القضاء على نفوذ البوليس السياسى . وتخلص الشعب من حالة الارهاب التى كان يعيش فيها ، كذلك تم تقييد سلطات طبقة رجال الدواوين ، ولم يعد العامل يعيش فى خوف من معسكرات السخرة . ونظرت الحكومة فى نظام الاجور وضيقت الفجوة بين الدخل المرتفع والدخل المنخفض ورفعت المرتبات والمعاشات ووضعت حدا أقصى للدخل . وقد صاحب هذه السياسة محاولات مستمرة لزيادة انتاج السلع الاستهلاكية .

واذا القينا نظرة على المسرح السوفيتى فاننا نلاحظ على الفور تناقضا واضحا بين الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية الشاملة وبين الجمود الذى طرأ على الموقف السياسى . قد ظهر هذا التناقض بشكل خطير ضد الحرب الاهلية فى المجر التى جاءت مفاجئة للجميع ووضعت نهاية لتصفية المبادىء الستالينية فى المجال السياسى . ولكن آثار هذه المفاجأة لم تستمر طويلا فبعد ثورة خروشوف فى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى عاد ورجع الى سياسته السابقة ، وبعد ان تمسك بسياسة رجعية فى عام ١٩٥٦ شن حملة عنيفة ضد الرجعية وقد أدخل تحت فئة الرجعيين أنصار ستالين السابقين الذين بدءوا يشكون فى الصفات الاساسية للشيوعية وأولئك الذين كانوا يطالبون بمزيد من الاصلاحات وبتصفية المبادىء الستالينية داخل اطار الشيوعية .

لقد كانت الجماعة الاولى تمثل قطاعا هاما من الرأى العام فى المجر وبولنـــــدا ودول أوروبا الشرقية الأخرى ولكن فى الاتحـــــاد السوفيتى حيث كان هناك من يطالبون بتصفية المبادىء الستالينية وبالاصلاح وهم الذين يستمدون الالهام من مبادىء لينين وبالنسبة لهؤلاء لم تختلف آراء خروشوف عن آراء ســـتالين فلم يسمح خروشوف باجراء مناقشات عامة وحـرة بالنسبة لمشـــكلات السياســـة الكبرى وحتى الخطاب الذى ألقـــاه خروشوف أمام المؤتمر العشرين مازال سرا .

وقد عملت أجهزة الدعاية الرسمية فى الاتحاد السوفيتى على فرض سيطرتها على العلوم والفنون والآداب . ومنعت جميـع المحاولات لاكتشاف حقائق حكم ستالين حتى ذلك الجزء الذى كشف عنه النقاب فى عام ١٩٥٦ . ويبدو كما لو كان خروشوف يحاول الان اغلاق الابواب على ما حدث ويتظاهر بأن شـيئا لم يحدث .

وهذا الغموض الذى تتسم به سياسة خروشوف يضع علامة استفهام كبيرة على بعض الاصلاحات وعلى كثير من التقدم الذى تحقق . فهذا الغموض يثير القلق والشكوك والمخاوف بين الشعب السوفيتى . فهذا الشعب لا يعرف حتى الان أى الموقفين هو الصحيح : هجوم خروشوف على أعمال ستالين التعسـفية أو هجومه على هذا الهجوم . وطالما أن مساوىء ستالين تجد بين المسئولين من يهاجمها ويدافع عنها فى الوقت نفسه فليس هناك مايضمن أن خلفاء ستالين لن يرتكبوا مثل هذه المسـاوىء لقد اختفى الحكم التعسفى الذى كان يمارسه البوليس السياسى، ولكن أليس من المحتمل أن يعود هذا الحكم من جديد ؟ لقـد وضعت الحكومة حدا لاستخدام القوة والتعسف فى المســائل الاقتصادية والاجتماعية ولكن ألا تعود الى مثل هذه الأعمال من جديد ؟ لقد تنازلت طبقـة رجال الدواوين عن بعض حقوقهـم وامتيازاتهم للعمال والفلاحين ، ولكن هل تنازلوا عن هذه الاشياء من أجل مصلحتهم ؟ الم يستردوا هذه الحقـــوق والامتيازات مرة ثانية ؟ ان القلق والخوف يسيطران على الجماهير التى عقدت عليها كثير من الآمال والتى تعتبر رصيدا من الكفاية القومية .

وهذا الغموض كان له أثر واضح على طبقة المثقفين ، وهم المتحدثون باسم هذه الامة الصامتة . وقد أبدى خروشوف اهتماما كبيرا بتقييد حريتهم والحد من نزعتهم الاصلاحية . فالكتاب والفنانون والمفكرون الذين اظهروا ميلا قويا الى التفكير فى المستقبل قد أعاد خروشوف الى ذاكرتهم انهم مازالوا يعيشون فى ظل المبادىء الستالينية المتطرفة . كذلك حذر المؤرخين من التعمق فى اخطاء الماضى والا يعتقدوا أنهم تخلصوا من مهمتهم الاساسية وهى تزييف التاريخ . لقد كانوا مطالبين بأن تكون لديهم ذاكرة تاريخية قوية اذا دعا الأمر وأن يفقدوا هذه الذاكرة تماما عندما تسبب بعض الاحراج . وهذا الغموض نفسه يمكن أن يوجد فى مجالات أخرى ونستطيع أن نتصور مدى الالم الذى تشعر به طبقة المثقفين التى يتعين عليها أن تكيف نفسها مع هذه المطالب المتناقضة .

ومع ذلك كله فهناك اختلاف هام بين روسيا فى عهد نيكيتا خروشوف وروسيا فى عهد ستالين وهو أن الروس فى عهد خروشوف لا يخشى كل منهم الآخر . وهذه هى احدى النتائج الهامة للقرار الذى اتخذه مستر خروشوف بأنه سيحاول أن يحكم الاتحاد السوفيتى بدون خوف أو ارهاب . ومازال بعض الروس يعيشون فى رعب ، ولكن هذا يرجع الى الارهاب الذى تعرضوا له فى عهد ستالين . أما الان فلا يوجد شىء من هذا القبيل .

ويتميز النظام السوفيتى بأنه لم يصدر أى بيان عام يحدد فيه أن البوليس السرى لن يستخدم الارهاب مع المواطنين . فقد أعلن مستر خروشوف وغيره من المتحدثين الرسميين أن « القوانين السوفيتية قد انتهكت حريتها » فى الماضى وان هذا لن يتكرر مرة ثانية . كما أن الحكومة لن تتهاون ازاء مثل هذه الاعمال فى المستقبل .

وبعد ذلك شكلت اللجان لتبرئة جميع المسجونين المعتقلين فى معسكرات العمل . ثم أطلق سراح هؤلاء المسجونين بالتدريج وتوقفت الاعتقالات بسبب التهم السياسية . وفى بداية الامر كان المواطنون السوفييت يشكون فى حسن نوايا الحكومة . ولكن بمرور

الوقت تأكد الروس ان مستر خروشوف يريد فعلا ان يحكم الاتحاد السوفيتي دون استخدام الارهاب كسلاح سياسى .

وقد أدت تصفية معسكرات الاعتقالات والحد من سلطات البوليس السرى الى تغيير القوى الاجتماعية داخل الاتحاد السوفيتي . وظهرت على الفور مشكلات اجتماعية جديدة . وبدا ان مشكلات أخرى ستظهر قريبا وأصبح الاتحاد السوفيتي يعانى الآن من السوق السوداء ومن انحلال الشباب . ولكن هذا لايعنى ان الحرية تؤدى الى خلق أمراض اجتماعية . والحقيقة هى أن الحكومة لم تعد تستخدم الاساليب التعسفية وتشحن المواطنين الى معتقلات سيبيريا .

وقد تطوع كثير من الاخصائيين باجراء أبحاث وتجارب لمعالجة هذه المشكلات ولكن ليس من المحتمل أن يصادفوا اى نجاح فى محاولاتهم هذه ، ولكن اذا استطاع مستر خروشوف أن ينجح فى تخفيف حدة التوتر الدولى ، فانه سيتفرغ لمعالجة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التى تعانى منها بلاده . وسيتمكن من تسخير جهوده لهذا الغرض .

وهناك كثير من الاشخاص مازالوا يعتقدون أن اى نظام شيوعى لايمكن أن يستمر بدون بوليس أو ارهاب ، ولكن هذه مسألة أخرى . والحقيقة هى أن مستر خروشوف يحاول أن يحكم دولة شيوعية بدون بوليس سرى وبدون ارهاب .

وقد يكون مستر جورجى زوكوف رئيس اللجنة السوفيتية للشئون الثقافية مبالغا بعض الشىء عندما قال انه لا يوجد مسجون سياسى واحد فى الاتحاد السوفيتى . وربما يكون فى بعض سجون سيبيريا عدد من الاشخاص الذين تطلق عليهم الدول الغربية اسم مسجونين سياسيين ولكن الحقيقة التى لا يمكن أن يتطرق اليها الشك هى أن معسكرات الاعتقال الواسعة فى شمالى روسيا الاوروبية والتى كانت مسرحا للاضطرابات فى صيف ١٩٥٣ قد اغلقت . وأصبح العمال المدنيون هم الذين يعملون فى مناجم الفحم . وأعطى عدة مئات من حرس السجون وظائف أخرى ، واصبح معظمهم يعمل سائق سيارات أجرة فى موسكو . ولكن كثيرا من المواطنين فى روسيا ليسوا مسرورين من هذا الوضع .

وقد قام أحد الصحفيين بزيارة بعض مناجم الفحم التى كان يعمل فيها هؤلاء المسجونين ، فوجد هناك أن أحد مشروعات الاسكان يجرى تنفيذه فى المكان الذى كانت تقام عليه معسكرات الاعتقال .

كذلك اختفت معسكرات الاعتقال الواسعة التى كانت تشوه غربى سيبيريا ولا توجد أية علامة تدل على أن معسكرات الاعتقال مازالت باقية فى هذه المنطقة وفى شرقى سبيريا ، وعلى الاقل فى المناطق المفتوحة للمراسلين الاجانب نجد أن الصورة واحدة . وحتى مناجم الذهب اختفى منها المسجونون وحل محلهم عمال عاديون .

واذا لم تكن لك ذاكرة قوية ومعارف كثيرون فانك لاتستطيع أن تفرق فى هذه الايام بين الشخص الذى يعمل فى وظيفة حكومية والشخص الذى عاد منذ ثلاثة أو أربعة أعوام من احد السجون فجميعهم يعيشون الآن فى عهد واحد لا يتعرضون لاضطهاد أو ارهاب .

وهناك كثيرمن ضحايا بوليس ستالين السرى فى المجتمع السوفيتى اليوم ويشغل معظمهم مناصب هامة . وقد بذلت جهود خاصة لوضع هؤلاء الضحايا فى مناصب لا تقل عن المناصب التى كانوا سيصلون اليها لولا تلك الفترة التى أمضوها فى السجن او فى المنفى أو تحت الحراسة .

ووجود كثير من المعتقلين السابقين فى مناصب هامة يعطى للمجتمع السوفيتى مرونة لم يكن له عهد بها فى الماضى . فهؤلاء الاشخاص لايمكن ارهابهم بسهولة . كما أنهم يعرفون جيدا طبيعة الدولة السوفيتية . وهؤلاء الاشخاص يشكلون حاجزا طبيعيا يمنع قيام دولة بوليسية جديدة .

ولكن هذا ليس التغيير الداخلى الوحيد فى المجتمع السوفيتى فقد انتهت أيام الجواسيس والوشاة . والمواطنون السوفييت على استعداد لأن يستغلوا الفرص التى كانوا يرفضونها فى الماضى

وقد أقام بعض الروس — الذين يشغلون مناصب هامة فى وزارة لها صلة بالاجانب — حفل سمر فى أحد مطاعم موسكو

حضرة صديق امريكى . وعندما اغلق المطعم فى الساعة الواحـدة صباحا قالوا للصديق الامريكى : « هل لديك قليل من الخمر ؟ لنذهب الى منزلك ونشرب هذه الكمية الباقية فقال لهم الامريكى :

« هذا حسن . ولكنكم تعرفون اننى اسكن فى منزل خاص بالاجانب ويقف أحد رجال البوليس السـوفييت على باب هذا المنزل » .

فأجابوا على الفور :

« اننا نعرف هذا جيدا ، ونعرف أنه سيبلغ المسئولين وسوف يستدعوننا لاستجوابنا ، ولكن ماذا يمكنهم أن يفعلوا معنا ؟ لا شيء سوى التنبيه علينا بعدم الدخول فى هذا المنزل . هيا بنا لا تهتم بهذه المسألة » .

وقد اعتاد الروس فى الماضى أن يشعروا بالخوف لمجرد ذكر اسم ليون تروتسكى . أما اليوم فلا تكاد تسمع هـذا الاسم .. ولكن شابا من احدى المدن الاقليمية فى روسيا ذكر اسم تروتسكى فى مناقشة دارت حول الكتب التى وضعت عن روسيا وعند ذلك سخر أحد الحاضرين من هذا الاسم وقال ضاحكا ان هنـاك تشابها بين هذا الشـاب وبين تروتسكى . وقال ثالث : « لقد بدأنا نتحدث عن تروتسكى ولكننا لم نكتب عنه شيئا » .

وقال شاب روسى ذهب الى سيبيريا عام ١٩٤٥ عندما كان والده منفيا « اننا نملك منزلا هناك فى سيبيريا وأنا أعمل واعيش فى سيبيريا . وأفضل الحياة فيها . ولا يستطيع أى شخص ان يهددنى كما أننى افعل كل مايحلو لى » .

وهذا التحدى والشعور بالاستقلال لم يكن له وجود فى عهد ستالين وفى الاتحاد السوفيتى جيل بأكمله لا يتذكر عهد الارهاب الذى مرت به البلاد . وهاجم بعض الشباب السوفييت احـد الامريكيين عندما تحدث عن الارهاب الذى كان يسود الاتحـاد السوفيتى فى الماضى . وعند ذلك نهض روسى عجوز وقال للامريكى « انهم على حق فى هذا . فهم لا يعرفون شيئا عن هذا الارهاب ولذلك فالافضل الا تستمر فى هذا الحديث »

كل هذه النتائج ترجع الى سياسة خروشوف المعتدلة .

ومن بين المشكلات الاجتماعية فى روسيا انتشار السوق السوداء فالسائح الامريكى يقابل كثيرا من الشباب الذى يتسكع فى شارع جوركى تحت الاشجار « أو يجول حول ضريح لينين وستالين أو يمشى فى ميدان الكاتدرائية داخل الكرملين أو يشرب القهوة المثلجة فى مقهى دروجبا » .

ويرتدى هؤلاء الاشخاص فى الغالب « بنطلونات » ضيقة و « جاكتات » قصيرة وأحيانا يرتدون ملابس تتسم بالوقار والتحفظ . وهم يشبهون الاسكندنافيين أو الانجليز وفى بعض الأحيان يضعون لحية مستعارة . ويطلق الروس على هؤلاء الأشخاص لقب « رجال الأعمال » .

واذا قابلت واحدا من هؤلاء الشباب يبادرك بقوله « معذرة يا سيدى هل أنت سائح » فاذا كان الجواب بالنفى فان الحديث سينتهى عند هذا الحد . أما اذا قلت له : « نعم » فانه سيعرض عليك أن يشترى دولارات مقابل روبلات وهؤلاء الأشخاص الذين يعملون فى السوق السوداء لا يتعاملون مع الدبلوماسيين أو مع الأجانب المقيمين بصفة دائمة فى الاتحاد السوفيتى . والمعروف أن السعر الرسمى للدولار فى روسيا هو ١٠ روبل وتبدأ المساومة بأن يعرض عليك ٢٠ روبلا ثمنا للدولار . وتستمر المساومة حتى يتفق الطرفان على سعر . وأحيانا يصل سعر الدولار فى السوق السوداء الى ٣٠ أو ٥٠ روبلا .

واذا لم يكن السائح يريد دولارات فان « رجل الأعمال » يعرض عليه شراء « بعض التحف القديمة التى تبلغ من العمر ٣٠٠ سنة » وأحيانا تكون هذه التحف مسروقة من الكنائس الروسية . وفضلا عن هذا فان الحكومة السوفيتية تمنع استيراد التحف الفنية القديمة . واذا وجد موظف الجمارك اشياء من هذا القبيل فانه يصادرها على الفور .

واذا رفض السائح شراء دولارات أو تحف قديمة فان رجل الأعمال يطلب منه أن يبيعه بعض الملابس التى لا يحتاج اليها وخاصة الملابس الرياضية والجاكتات وأربطة العنق والاحذية .

ويهتم هؤلاء الاشخاص بالاسطوانات المسجل عليها موسيقا الجاز والمفكرات وأقلام الحبر وأقلام الرصاص وأحمر الشفاه ، اما السجائر الأمريكية فلا تلقى رواجا فى السوق السوداء .

ويتساءل كثير من السياح لماذا يشترى « رجال الأعمال » هذه الدولارات وماذا يفعلون بها . ان هناك سوقاً سوداء بين آلاف الروس الذين يقومون بزيارة أوروبا الغربية أو الذين يزورون الولايات المتحدة كسياح أو فى بعثات رسمية والحكومة السوفييتية تبيح للمسافر الى الولايات المتحدة ٤٠ دولارا فقط .

كذلك نجد أن الفلاحين الروس يقبلون على شراء الدولارات اذا ارادوا أن يحولوا أموالهم الى هذه العملة أو فى صورة ذهب أو مجوهرات بدلا من وضع هذه العملة فى البنوك لأنهم يخشون ان تخفض الحكومة السوفيتية قيمة الروبل فجأة .

ولسنا فى حاجة الى القول بأن الرئيس السوفيتى على علم بهذا النشاط الزائد فى السوق السوداء . فكل شىء يحدث تحت سمع ضباط البوليس وبصرهم كما أنه لا يخفى على الرجل العادى فى روسيا .

ولكن لماذا يتهاون رجال البوليس ازاء مثل هذه الأعمال ؟ قد يحدث فى بعض الأحيان أن يعتقل احد الأشخاص الذين يتجرون فى السوق السوداء ولكنه يعود الى الشارع مرة ثانية بعد استجواب قصير . والسبب هو أن البوليس السوفيتى له يد فى هذه العملية ، فاما أن يحصل على رشوة من تجار السوق السوداء أو على عملات أجنبية يستخدمها لاغراضه الخاصة .

وتجارة العملات الاجنبية والسلع الامريكية قد ظهرت فى موسكو فى أثناء مهرجانات الشباب التى أقيمت فى صيف ١٩٥٧ . ومنذ ذلك الوقت أصبحت هذه التجارة مظهرا من مظاهر الحياة فى موسكو .

وليست هذه التجارة غير الشرعية هى الشىء الوحيد الذى يحدث بموافقة البوليس السوفيتى فهناك تجارة من نوع آخر نشاهدها فى الشوارع الضيقة خلف احدى المؤسسات الحكومية بالقرب من الميدان الأحمر . فعندما تكون هناك بعض السلع غير

متوفرة بكثرة يسارع بعض التجـــار الى شرائها كلها ويبيعونها بزيادة قدرها ٥٠٪ أو ١٠٠٪ عن السعر الأصلي . وهناك أيضا بعض الغجريات اللائى يقرأن « البخت » لاحدى السيدات مقـــابل أجر معين وأحيانا يبعن لها زوجا من الجوارب النايلون المصنوع فى أمريكا . ويوجد كثير من هؤلاء الغجريات فى شوارع موســكو الرئيسية .

ويستطيع اى شخص عادى يسير فى شوارع موســكو أن يلاحظ كل هذه الأشياء كما أن هذه الأعمال لا يمكن أن تخفى على رجال البوليس . ولكن نادرا ما يقوم رجل البوليس باتخـــاذ اجراء ايجابى ضد هؤلاء التجار الجشعين .

والبوليس لا يتـدخل فى شـــئون الأفـراد لأنه أمر بألا يتدخل .. ولكن هذا لا يعنى أن الحكومة لا تبذل الجهد لوضع حد لهذا السلوك الشـاذ الذى ظهر فى المجتمع الروسى .

وتقوم الحـكومة بمحاولة جـديدة لمعـالجة هذه الآفات الاجتماعية وهى تستخدم فىهذه المرة جماعاتمن الشباب المدنيين الذين تطوعوا لمحاربة هذا السلوك الشـــاذ عن طريق النصـح والارشاد . وهذه الجماعات ـ من الناحية النظرية على الأقل ـ خارج الهيكل الرسمى للحكومة . وتتلخص مهمة هؤلاء الشباب فى أقناع المنحرفين بالتخلى عن سلوكهم الشاذ وشرح المخـاطر والمساوىء التى تنطوى عليها أعمالهم ، وارشادهم الى الطريق الصـحيح الذى يجب أن يتبعوه ليـــكونوا مواطنين صالحين فى المجتمع السوفيتى .

وتستخدم الحكومة عبارات لينين واقواله المأثورة لتشجيع المواطنين على الانضمام الى هذه الجمـاعات فقد قال فى احـدى المناسبات : « ان تكوين منظمات تضم المواطنين وتعمل من أجل المصلحة العامة يعد خطوة كبيرة الى الأمام فى مرحلة الانتقال التى يمر بها المجتمع من الاشتراكية الى الشـــيوعية . وكلما تمكن المواطنون من القيام بمهام الحكومة كان ذلك دليلا على تطورهم وتقدمهم . وهؤلاء المواطنون سيصبحون النواة الحقيقية للدولة المثالية التى ننتظرها والتى وعدنا ماركس بأنها سوف تتحقق فى ظل الشيوعية .

ومن بين جماعات المواطنين المعروفة بنشاطها جماعة اسمها « دروجينا » ويطلق الروس هذا الاسم عادة على المتطوعين فى فرقة المطافىء أو فى البوليس وهـــذا الاســم يطلق فى الاتحــاد السوفيتى على جماعات من الشباب الشـيوعى تطوعوا لحراسة الشوارع والمساعدة على حفظ الامن العــام . وهــذه الجماعات تشبه كتائب الخلاص « التى كانت تحارب بعض الآفات الاجتماعية مثل شرب الخمر فى صالونات القرن التاسع عشر » ٠

وتهتم جماعات المتطوعين اهتمــاما كبيرا بمحاربة الخمر ، فتقوم بحملات على المقاهى والمطاعم والنوادى فى ساعة متأخرة من الليل وتحاول اقناع الشباب بأن يكف عن تنــاول الخمور ذات المفعول القوى واذا وجدت هذه الجماعات أن شخصا من مدمنى الخمر قد فقد وعيه بسبب الافراط فى الشرب فانها تستعين بأحد رجال الشرطة لنقله الى مبنى قسم البوليس ... وتنشر صحافة الشباب الشيوعى بصفة مستمرة كثيرا من الصــــور والمقالات التى تشيد فيها بنشـــاط جماعات المواطنين الذين يساعدون رجال البوليس على تأدية واجبهم ٠

ومحاربة الافراط فى شرب الخمر هى جانب واحد من نشاطهم الذى شمل معظم أنحاء العاصمة السوفيتية ٠ فقد أغلقت صالات البيرة والبارات فى موسكو . اما المطاعم فلا تبيع اكثر من ٣٠ جراما من الفودكا للشخص الواحد فى اليوم . ومنعت الحكومة أيضا بيع الفودكا فى الشوارع العامة .

اما البراندى والخمر ــ وهما اغلى ثمنا من الفودكا والبيرة ــ فما زالا يباعان دون قيود ٠ ويبدو أن الحكومة قد حـــددت اسـعار المشروبات الروحية وهناك احجام صغيرة من زجاجات الفودكا ولكن هذه ليست متوفرة فى مخازن الخمور ونحن نتساءل: هل ســتؤدى هذه الخطوات الى الحد من اســتهلاك المشروبات الكحولية . ؟

ويعتقد احد رجال الدين فى روسيا ان هذه الخطوات قد زادت من الاقبــال على الشرب . وقال أيضــا : « ليس لدى أى شخص الوقت الكافى لينتقل من مطعم الى آخر لكى يشرب اكثر من مرة . ولكن ماذا يحدث ؟ بدلا من ان يشرب المرء ١٠٠ جرام

أو حتى ٢٠٠ جرام من الخمر فانه يذهب الى مخزن للمشروبات الروحية ويشترى زجاجة كبيرة سعتها ٥٠٠ جرام ثم ينتحى جانبا ويشرب الزجاجة دفعة واحدة .. لقد زاد الاقبال على الشرب فى موسكو الآن اكثر من أى وقت مضى » .

وقد يكون هذا الرجل مبالغا فى وصفه ، ولكن اذا قمنا بجولة فى المساء داخل منطقة تسكنها احدى الطبقات العاملة فسنجد ان جماعات المواطنين لم تغير شيئا من مشكلة تناول الخمر .

وهناك نوع آخر من جماعات المواطنين تطلق على نفسها اسم « محكمة الزملاء » وقد تتخذ هذه المحكمة صورة اجتماع يعقده بعض الجيران ليصدروا حكما على جار لهم عاد الى منزله يترنح من كثرة الشرب وتسبب فى ازعاج السكان وقد تتكون هذه المحكمة من بعض العمال لاصدار حكمهم على زميل لهم اتلف احدى الماكينات أو سرق بعض الآلات .

ومن بين التطورات الهامة فى الاتحاد السوفيتى انتقال كثير من خدمات الامن الاجتماعى الى نقابات العمال التى اصبحت تقوم بنشاط ضخم لخدمة المجتمع السوفيتى . وقام بعض العمال القادرين بحركة جديدة تهدف الى مساعدة زملائهم الفقراء على رفع انتاجهم . وقد تزعمت هذه الحركة امرأة روسية شابة اسمها فالنتينا جاجانوفا وتعمل فى احد مصانع الغزل بولاية كالينين وقد قامت حركة مماثلة فى عام ١٩٣٠ .

واستخدام جماعات المواطنين ليس امرا يسيرا كما يبدو فى الظاهر فهناك احتمال كبير لظهور بعض الصعوبات والمتاعب . وفى الواقع يبدو ان هناك خلافا داخليا فى حكومة خروشوف بسبب هذه المسألة . وجماعات المواطنين تلقى تأييدا من مستر فلاديمير سيميشا ستنى الرئيس السابق لمنظمة الشباب الشيوعى ومن مستر الكسندر شيليبين الذى يرأس الآن قوات الامن .

ويخشى كثير من المسئولين السوفييت ـ ومن بينهم عدد من القضاة ورجال القانون ـ ان تكون اضرار جماعات المواطنين اكثر من مزاياها فتكوين هذه الجماعات ليس قانونيا كما ان مهمتها فيها مساس بحرية الفرد .

وهذا الجدال يستند الى خلاف نشب منذ اربع سنوات، حول تقديم ضمانات شرعية ضد انتهاك حرية الافراد . وهذا الخلاف ما زال قائما حتى الان .

وفى الوقت الحاضر نلاحظ ان جماعات المواطنين تقوم بنشاط ضخم ولكن بدون فائدة . اما « محاكم الزملاء فيبدو انه ليس لها وجود الا على صفحات مجلة الشباب الشيوعى . والمعتقد انها لن تخرج عن هذا النطاق على الرغم من تصريحات المسئولين التى تحاول أن تثبت عكس ذلك .

ولكن مقاومة السلوك الشاذ فى المجتمع السوفيتى تعد مشكلة خطيرة . وليس من السهل معالجة هذه المشكلة فى أى مجتمع آخر وفى الجانب الاخلاقى من المذهب الشيوعى نجد ان هذه المشكلة تسبب قلقا بالغا . فالمجتمع السوفيتى لم يعد يسيطر عليه الخوف والتهديد بالاعدام أو الاشغال الشاقة كذلك لم ترسم الحكومة السوفيتية خططا جديدة للتوجيه الاجتماعى .

وليس غريبا ان ينتشر السلوك الاجتماعى الشاذ بين الشباب السوفيتى فهذا الشباب يهتم : اهتماما كبيرا « بالتقاليع » الأمريكية ويقلدها شأنه فى ذلك شأن الشباب الأوروبى .

ويتوجه الشباب الروسى الى المعرض الاهلى الامريكى فى موسكو ويطلبون الاطلاع على الكتب التى تتناول موضوعات الحب والجنس والكتب الهزلية والمصورة ... ويقول بعضهم للقائمين على المعرض «اننا نسمع موسيقا الجاز فى كل مكان فى العالم ، فلماذا لا نسمعها هنا فى معرضكم ؟» .

وتصادف اثناء وجود المعرض الامريكى فى موسكو ان اثارت الصحافة السوفيتية اهتمام الشعب للحياة الامريكية . فقد نشرت مجلة الشباب الشيوعى ومجلة « نيوتايمز » مقتطفات من بحث عن انحراف الشباب فى نيويورك وكان بعنوان «الجيل المضطرب » .

ولكن المجلتين حذفتا بعض الفقرات التى تناولت أوجه الشبه بين انحراف الشباب الامريكى والشباب السوفيتى ،ومع

هذا فقد التزمت المجلتان الصمت ازاء جرائم الشباب التي تحدث في موسكو نفسها .

فقد تكونت عصابات من الشباب ووقعت بعض أعمال العنف بالقرب من جامعة موسكو وشوارع ليننجراد الرئيسية . وحدث مرة أن قابلت عصابة من الشباب احد الضباط وطلبت منه ان يساعدها على سرقة منزل ابيه ، ولما رفض طعنه احد افراد العصابة بسكين ثم فصل ساقيه عن جسده .

وخطفت عصابة اخرى فتاتين في اسبوع واحد . ورأى سكان هذه المنطقة ان يكونوا جماعات من المتطوعين لمقاومة هذه العصابة وللمحافظة على الامن والسيطرة على الموقف .

وجرائم الشباب التي ترتكب في موسكو تشبه الى حد كبير هذه الجرائم التي ترتكب في نيويورك .ولكن الصحافة السوفيتية لا تشير الى مثل هذه الحوادث وقد نفى محرر مسئول في صحيفة الشباب وجود مشكلة من هذا القبيل .

والواقع ان هذه الحوادث والجرائم التي تقع في موسكو قد وضعت الحكومة السوفيتية في مأزق حرج . فاعتراف الحكومة بان جيلا منحرفا بدأ يظهر في روسيا هو اعتراف بان المجتمع السوفيتي قد اصيب بامراض اجتماعية خطيرة . وهذا في الحقيقة هو اخطر اعتراف في مجتمع يؤمن بالمثالية .

لم يعد مستر نيكيتا خروشوف يواجه اي تحد او منافسة داخل الاتحاد السوفيتي ... هذه هي الطريقة التي وصف بها احد المراقبين الاجانب تحول الحكم في روسيا من « الزعامة الجماعية » الى حكم الفرد الواحد عندما تخلص خروشوف من جميع منافسيه في العامين السابقين واصبح يحكم روسيا بمفرده .

لقد حدث هذا التغيير منذ شهر يونيه سنة ١٩٥٧ عندما استطاع مستر خروشوف ان يهزم الجبهة المعارضة لسياسته والتي كان يتزعمها مالينكوف ومولوتوف . فمستر خورشوف وحده هو الذي يتخذ القرارات السوفيتية ويتولى تنفيذها وهو وحده الذي يستطيع ان يقود بلاده الى طريق السلام أو الى هاوية الحرب .

ولكن هذا لا يعني ان مستر خروشـــوف يحـكم الاتحاد السوفيتي الآن حكما ديكتاتوريا استبداديا على طريقة ستالين ، ولا يعني ايضـــا ان السياسة لا تبحث وتناقش داخل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي .

ان مستر خروشوف يفضل دائما مناقشة جميع المســـائل بدقة تامة ، وهو يحب كذلك أن يسمع آراء الآخرين في المسائل الهامة وان يناقش هذه الآراء ... ولكنه يتمتع بسلطات واسعة وله مكانة قوية بين زملائه في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي . فعندما كان يتحدث مع مستر رتشارد نيكســـون انتقد أنستاس ميكويان بشـــدة لاعجـابه المفرط بالطعام الملئ بالتوابل .

ومنذ ثلاث سنوات فقط كان مســـتر ميكويان يتهكم على خروشوف لاعجابه باللحم المفرى مع شرائح البنجر - وهو طعامه المفضل الذي اعتاد أن يتناوله في أوكرانيا - ولكن لا يجـــرؤ مستر ميكويان اليوم على أن يوجه اليه أي نقد من هذا النوع .

والنظام السوفيتي - أو عدم وجود نظام سوفيتي - يؤدي في الغالب الى تجمع السلطات في يد شخص واحد ، فليس هنـــاك برلمان ديمقراطي يوازن بين واجبات الحكومة ومسئولياتها ويمثل ارادة الشعب .

ففي خلال عامين أو ثلاثة بعـــد موت لينين جعل ستالين من نفسه ديكتاتورا ، وفي فترة مماثلة بعد موت ستالين قضى خروشوف على جميع خصومه وخرج من هذه المعركة منتصرا .

والسبب في ان خروشوف لا يحكم البـــلاد بطريقة ستالين الاستبدادية العمياء يرجع الى قـــوة شخصيته ... فشخصيته المنبسطة تناقض تماما شخصية ستالين الغامضة ... ولكن الزمن أيضا قد تغـير ، وأصبح الشعب السوفيتي يتوق الى الحرية ولن يقبل ديكتاتورية أخرى على غرار ديكتاتورية ستالين .

ويتميز اسلوب خروشوف في الزعامة بمنافسته الولايات المتحدة ومحاولة اللحاق بها ، وكان خروشوف منـــذ زمن طويل

يتمنى زيارة هذه الدولة ليرى مدى التقدم الذى أحرزته • وليس غريبا أن عددا من رجاله المخلصين قد ســافروا فعلا الى الولايات المتحدة ، فعندما وصل مستر ميكويان آلى أمريكا فى الشتاء الماضى كانت مهمته هي أن ينقل صورة صادقة لما رآه وسمعه في هــذه الدولة ليعرضها على خروشوف •

وفى رأس خروشوف عقـــل لايهدأ ولا يكف عن السؤال ، فهو دائما يزن الأمور بدقة بالغة لكى يتأكد من أن جميع الحقائق بين يديه ، وهو يتحرى الدقة فى كل شيء ، فقد تعلم من السنوات الطويلة التى قضاها فى الحكومة السوفيتية أن الطريقة الوحيـــدة للتأكد هى أن ترى الاشياء بنفسك •

وغالبا مايقول مستر خروشوف لزملائه : «انكم لا تستطيعون أن تعرفوا أى شيء عن هذه البلاد الا اذا كنتم تسيرون فى موكب بين الشعب » • ومستر خروشوف ينزل الى الطرقات ويســير بين الشعب لكى يرى بنفسه الحقائق وهو يصر على أن يتبع زمــلاءه الطريق نفسه • ويعتقد مستر خروشوف أنه ليس هناك ظاهرة فى العالم تستحق الاهتمام سوى الولايات المتحدة •

وفكرته عن الولايات المتحدة فى الواقع فكرة مشوهة فهو ينظر الى الدولة من زاويتين مختلفتين : فهو ينظـــر الى الولايات المتحدة على أنها دولة متقدمة فى المجال العلمى وفى مجـال الانتاج الصناعى • ومن ناحية أخرى ينظر اليها على أنهـا دولة رأسمالية فاسدة أوشكت أن تنهار •

وأى أمريكى يستمع الى مستر خروشوف وهو يتحدث عن الولايات المتحدة يجد أن الصورة التى يعرفها هى صـــورة مهزوزة غير واضحة المعالم • ولكن هذه الصورة ليست دائمة وانما يمكن أن تتغير كلما رأى خروشوف شيئا جديدا •

ويعتقد مستر خروشوف أنه يعـــرف الكثير عن الرأسمالية وعن الاحتكارات ففى بداية حياته كان يعمل فى منجم فحم يملكه فرنسيون ، وكانت حياته بائسة •

وقال خروشوف فى احدى المناسبات : « عندما قرأت احـدى القصص التى الفها اميل زولا ظننت أنه يتحدث عن المنجم الذى كنت

أعمل فيه مع والدى » وعندما يسمع خروشوف كلمة « رأسمالى » يتذكر بطريقة أوتوماتيكية الانفاق الأرضية المظلمة ورائحة الفحم والعمل الذى يقصم الظهر ويستمر ١٢ ساعة يوميا والأجر القليل. وطالما أن هذه الصور ستظل عالقة بمخيلة مستر خروشوف فلن يجدى معه الحديث عن « الرأسمالية الشعبية » فهو يعتقد أنه يعرف جيدا ماتنطوى عليه هذه الرأسمالية .

واليوم يعد مستر خروشوف أهم رجل فى الاتحاد السوفيتى . ولكنه لم يكن كذلك منذ سنوات قلائل . فعندما مات ستالين يوم ٥ مارس ١٩٥٣ وقف الزعماء السوفييت الباقون يستعرضون حرس الشرف أمام قبر الديكتاتور الراحل وكان يقف فى الصف الأول مستر مالينكوف ومستر كاجانوفيتش ومارشال نيكولاى بولجانين ومارشال كليمنت فورشيلوف ومستربيريا ومسترمولوتوف

ووقف فى الصف الثانى مسترخروشوف ومسترميكويان .. ووقف بجانبهما مارشال زوكوف ومارشال سوكولوفسكى ومارشال تيموشنكو ومارشال جوفوروف .

وقد اختفى معظم الذين حضروا جنازة ستالين ... فنقل مستر كاجانوفيتش الى مصنع للنسيج بالقرب من جبال أورال . ونقل مارشال بولجانين الى وظيفة اقتصادية وعين مستر مولوتوف سفيرا فى أولان باتور . وأصبح مالينكوف مديرا لاحدى محطات توليد الكهربا . أما مستر بيريا فقد أطلق عليه الرصاص ومات فى ديسمبر ١٩٥٣ .

ومارشال زوكوف يقيم الآن فى فيللا خارج موسكو ، ويقضى وقته فى الصيد وكتابة مذكراته ومارشال سوكولوفسكى مازال رئيسا لأركان حرب الجيش السوفيتى كما كان فى عام ١٩٥٣ . ومارشال تيموشنكو مازال قائدا لاحدى المناطق العسكرية أما مارشال جوفوروف فقد مات منذ عام ١٩٥٥ .

وفى السياسة السوفيتية لا تقدم الجائزة دائما للشخص الذى يفوز فى السباق . وهذه الحقيقة يجب أن تتذكرها عندما تستعرض أسماء الأشخاص المقربين الى مستر خروشوف على حسب ترتيب أهميتهم . فأهم الرجال فى الاتحاد السوفيتى — بعد

خروشوف هم : اليكس كيريشنكو ، وميخائيل سوسلوف ومستر انستاس ميكويان ، ومستر فرول كوزلوف ، وافيركي أريستوف ، واليكس كوزيجين ونيكولاى ايجناتوف ·

والزعماء السوفييت المعروفون جيدا فى الدول الغربية ـ بعد خروشوف طبعا ـ هم : مستر ميكويان ومستر كوزلوف ··· ولكن هل سيخلف أى منهما مستر خروشوف ؟ اننا لا نستطيع أن نقطع برأى فى هذا الموضوع ·

ومستر ميكويان من الجيل الذى ينتمي اليه مستر خروشوف ·· ومن المؤكد أن خليفة خروشوف سيأتى من فئة أصغر سنا وهم الرجال الذين لم يتعدوا العقد الخامس من عمرهم ـ والذين تخطاهم خروشوف عندما جمع السلطة كلها في يديه القويتين ·

وحتى الآن يعد مستر ميكويان من أقرب المقربين الى مستر خروشوف فهما دائما متلازمان وغالبا مانسمعه يكرر هذهالعبارة التالية في المناسبات المختلفة : « انستاس وأنا قد قررنا ··· واذا فرضنا ان مستر خروشوف سيموت بالسكتة القلبية غدا فان مستر ميكويان سوف يخلفه على الفور ··· ولكن لفترة مؤقتة ·

وقد كان مستر ميكويان مستشار خروشوف للشئون الخارجية ، وخاصة في شئون الولايات المتحدة ، وتستطيع أن تجد صورة ميكويان فى مكاتب صغار الموظفين بوزارة الخارجية السوفيتية حتى الآن ·

ومستر كوزلوف له وضع آخر يخالف وضع مستر ميكويان· فقد رشحه مستر خروشوف لمنصب هام · وجدير بالذكر ان مستر خروشوف قد صرح لمستر هاريمان حاكم نيويورك السابق بأنه يفضل أن يخلفه كوزلوف فى رياسة الوزارة ورياسة الوزارة منصب هام ولكنها أقل أهمية من رياسة الحزب ·

ومنذ أن قام مستر كوزلوف برحلة الى الولايات المتحدة بدأ يظهر فى مجلس السوفيت الأعلى وبدأت الاضواء تسلط عليه وقبل هذه الرحلة كان يبدو كغيره من الرجال المحيطين بمستر خروشوف رزينا قوى الشخصية . ولوحظ أيضا أنه كثيرا ما يستخدم

الفكاهة والمرح لكى يتهرب من الدخول فى مناقشات حول مسائل هامة .

والآن بدأ كوزلوف يظهر بشخصية جديدة تختلف تماما عن شخصيته السابقة ، فهو يشبه السياسى المجرب ويمشى فى ثقة واعتداد لم نألفهما من قبل . وبعد أن كان يرفض مقابلة المراسلين الأجانب أصبح يرحب بهم كما يرحب بأعز أصدقائه . ومن وراء مظهره الخارجي الذى يوحى بالكبرياء والعظمة ظهرت لنا دلائل كثيرة على سرعة تفكيره واحساسه بمتاعب الشعب .

وعندما يمتد الحديث الى المصادر الحقيقية للسلطة السوفيتية فان الاسم الذى يتردد كثيرا هو اسم مستر كيريشنكو السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتى ، ومستر كيريشنكو ليس معروفا فى الدول الغربية وليست له علاقة بالدبلوماسيين أو بالزوار الأجانب . وكان كيريشنكو ساعد خروشوف الأيمن فى أوكرانيا وقد تولى عدة مناصب هامة فى حكومة مستر خروشوف وهو الرجل الذى اختير ليلقى خطابا هاما أمام ادارات الأمن السوفيتية فى الربيع الماضى ، فرسم لها خطة محكمة عن كيفية أداء مهمتها على خير وجه .

ومستر كيريشنكو لا يظهر كثيراً فى المناسبات العامة فهو مشغول دائما بمراقبة سير العمل فى البلاد ، وخاصة بعد اتباع نظام اللامركزية فى المجال الاقتصادى . وهو الرجل الذى يثق به مستر خروشوف عند مراقبة سكرتيرى الحزب الشيوعى السوفيتى ... ولكن هذا لا يعنى أن مستر خروشوف يترك مهمة ادارة الحزب تخرج من بين يديه ، فهو وحده الذى يعرف جيدا أن من يحكم الحزب الشيوعى يحكم الاتحاد السوفييتى .

ومن بين المقاييس السياسية التى يعتمد عليها فى الاتحاد السوفييتى مقياس واحد ظل باقيا منذ عهد ستالين ، هذا المقياس هو ترتيب صور الزعماء فى مجلس السوفييت الأعلى وفى المنشآت الحكومية ... وعادة توضع هذه الصور على حسب ترتيب الحروف الأبجدية حتى لاتدع مجالا للتكهن بمستقبل هؤلاء الزعماء .

وترتيب الصور بهذه الطريقة له مغزى خاص ... كما

لوحظ أخيرا فى مؤسستين صناعيتين ، ففى كل مؤسسة كانت حجرة المدير مزدانة بصور الزعماء السوفييت الستة وهم لينين ، وفورشيلوف ، وخروشوف ، وميكويان ، وسوسلوف ، وكيريشنكو

وبغض النظر عن لينين وفورشيلوف نجد أن الاربعة الباقين يشكلون الدائرة الهامة فى الزعامة السوفيتية ، فلا يمكننا أن ننكر اهمية كيريشنكو أو سوسلوف ... ولكن مستر سوسلوف هو اللغز الغامض بين هؤلاء الزعماء السوفييت .

ومن الغريب أن الاشخاص الذين يلتفون حول مستر خروشوف يشبهونه الى حد كبير ويحملون كثيرا من صفاته فهم جميعا يحبون المجتمعات ويكرهون العزلة ويفضلون المرح على الانطواء . ويبدو بينهم مستر سوسلوف كظل من الماضى . فهو وحده بين أعضاء مجلس السوفييت الاعلى الذى يرتدى فى الصيف قبعة روسية قديمة كالتي تستخدم في الحروب . أما زملاؤه فيقلدون مستر خروشوف ويرتدون فى الصيف ملابس الرياضة الخفيفة .

وكانت القوانين المنطقية والاتجاهات السياسية تحتم على مستر سوسلوف أن يؤيد مستر مالينكوف ومستر مولوتوف في نزاعهما مع مستر خروشوف ولكنه لم يفعل ذلك واثبت أنه يتمتع بذكاء سياسى خارق لم يكن يتوفر لديهما . ومنذ ذلك الوقت أصبح دوره فى الاتحاد السوفيتي يختلف تماما عن دور بقية الزعماء ونادرا ما يتضح لنا هذا الدور . ولكن لن يظل هذاالدور غامضا الى النهاية . ومن المحتمل أن وجود عضو ستاليني محافظ بين الجماعة الحاكمة في الاتحاد السوفيتى سيكون له فائدة كبيرة بالنسبة لمستر خروشوف . فهذا العضو سيصبح بمثابة مغناطيس يوازن بين الاعضاء الموالين لستالين ــ وهناك عدد كبير منهم ــ الذين ظلوا محتفظين بمناصبهم بعد طرد مستر مولوتوف .

ومستر سوسلوف يستطيع أن يتعامل مع أحزاب شيوعية معينة ــ خاصة الحزب الشيوعى الفرنسى حيث يتمتع أنصار ستالين بأغلبية مطلقة . ومن ناحية أخرى يستطيع خروشوف أن يستفيد من سوسلوف فى علاقاته مع الصينيين .

ويستطيع مستر خروشوف كذلك أن يستفيد من مستر سوسلوف بطريقة أخرى . فسياسة خروشوف تنطوى على اتجاهات مذهبية جديدة ، وعلى أخطار ناتجة عن ظهور معارضة لمبادىء الحزب وانتشارها بين أفراد الشعب • ومستر سوسلوف متخصص فى مثل هذه المسائل . فقد كان محررا فى صحيفة « برافدا » وكان هو ومستر بوسبيلوف ـ المحرر السابق بصحيفة برافدا وأحد الستالينيين المتطرفين يعملان على حماية آراء خروشوف المذهبية وبمساعدة مستر اليشيف وهو محرر سابق فى صحيفة برافدا ويرأس الآن ادارة الدعاية التابعة للجنة المركزية ـ استطاع الثلاثة أن يقضوا على جميع الآراء الهدامة والمبادىء المناهضة لسياسة البلاد . واذا كان ضررهم أكثر من نفعهم فان هذا لم يكن ظاهرا وسط سحابة الغبار التى أثاروها بدعاياتهم .

ومع ذلك فان هذه العوامل لن تمكن مستر سوسلوف من ان يتغلب على مستر كيريشنكو فى أى نزاع قد ينشب بينهما • فسياسة كيريشنكو مرتبطة ارتباطا وثيقا بجهاز الحزب الشيوعى الذى جاء بمستر خروشوف الى الحكم وبالاضافة الى هذا فان سكرتيرى الحزب وخبراءه الاقتصاديين سوف يؤيدون مستر كيريشنكو ويصوتون ضد سوسلوف •

اما فى حال وقوع كارثة يترتب عليها فشل سياسة خروشوف ففى ذلك الوقت يستطيع سوسلوف أن يحقق أغراضه • وفى مثل هذه الحال سيظهر أعداء خروشوف المختبئون ـ وهم الأشخاص الذين أيدوا مستر مولوتوف ومستر مالينكوف وسيكون مستر سوسلوف نقطة تجمع لهؤلاء الأعداء •

واذا أتيحت لمستر مولوتوف فرصة لتحدى مستر خروشوف فانه لن يعتمد على الحظ فى هذا التحدى • ولكنه سيعتمد على شخصيته وعلى احترام الآخرين له وليس غريبا أن يحظى مولوتوف باحترام عدد كبير من الشعب السوفيتى وحتى زملاء خروشوف المقربين يقولون : « اننا نحترم مولوتوف • صحيح أننا نختلف معه ولكننا نكن له كل احترام وتقدير •

وهذا الاحترام ليس مقصورا على فئة معينة • ولذلك فقد عين سفيرا فى أولان باتور بمنغوليا لانه ليس معروفا فى هذه المنطقة ولن يصبح رمزا لمعارضى سياسة خروشوف •

وفيما يتعلق بمستر مالينكوف فلا يعتقد أى شخص فى موسكو أنه سيعود مرة ثانية ، فقد وضع بمعزل عن جميع أتباعه كما أن له أعداء كثيرين ويعتقد معظم الشعب أن مالينكوف هو المسئول عن الأعمال الارهابية التى تميزت بها السنوات الأخيرة من حكم ستالين •

وفيما يتعلق بالمارشال بولجانين تعتقد موسكو أنه أصبح فى عالم النسيان فقد كانت مشكلته الوحيدة هي الافراط في تناول الخمر • وبدأ يتورط فى سياسته ويتخبط فى سيره عندما ابتعد عن مستر خروشوف •

أما المارشال زوكوف فقد انتهت أيامه ولا توجد أية علامة تدل على مجيئه الى الحكم عن طريق الجيش • والمارشال ايفان كونيف قائد قوات حلف وارسو لم تعد أمامه سوى فترة قصيرة يحال بعدها الى التقاعد •

والمارشال روديون مالينوفسكي وزير الدفاع والمارشال سوكولوفسكي رئيس أركان حرب الجيش السوفيتى هما من أنشط الرجال العسكريين فى الوقت الحاضر •

ولكن ميزان القوى فى الجيش قد تغير تماما بسبب الدور الجديد الذى تقوم به الصواريخ الموجهة والصواريخ العابرة للقارات والعلماء الذين يخترعونها ويوجهون استخدامها •

ومن بين الشخصيات السوفيتية الجديرة بالملاحظة شخصية مستر كوزيجين ففى أسوأ أيام ستالين كانت حياة مستر كوزيجين معلقة فى خيط رفيع • ولكنه أخذ يرتفع ببطء وصعوبة فى السنين الأخيرة • واليوم أصبح مستر كوزيجين من بين الشخصيات المرموقة فى الاتحاد السوفيتى • وهو هادىء بطبعه حاد الذاكرة وقد بلغ الخامسة والخمسين من عمره ، وهو يقوم بتوجيه السياسة الصناعية السوفيتية بوصفه مديراً لادارة التخطيط الاقتصادى •

وقد صرح أحد الدبلوماسيين الغربيين بقوله : « اننى أحب ان أتحدث الى كوزيجين • فهو يهتم بالحقائق كما أنه يتمتع بذكاء خارق . وفضلا عن هذا فانه يعرف عن أى شيء يتحدث ولايخرج عن الموضوع مطلقا •

أما مستر اريستوف فهو رجل كثير الحركة • وهو أيضا أكبر من مستر كوزيجين بسنة واحدة ... ومستر اريستوف يعد من بين الاشخاص الذين يعتمد عليهم خروشوف فى تصريف أموره • وهو دائم الحركة ، ففى خلال احدى دورات مجلس السوفيت الاعلى ترك مستر اريستوف مقعده أكثر من عشر مرات فى ساعة واحدة ليقوم بتنفيذ الاوامر والتعليمات التى يصدرها اليه مستر خروشوف • أما المارشال فورشيلوف رئيس الجمهورية السوفيتية فقد تدهورت صحته كثيرا فى هذا العام •

وهناك أيضا عدد من الاشخاص المقربين من مستر خروشوف وهؤلاء يعتبرون من الأعضاء البارزين فى دائرته • وأول هؤلاء الأشخاص هو مستر ماتسكيفتش صديق خروشوف القديم منذ أن كان فى أوكرانيا ، والشخص الآخر هو مستر الكسندر شيلبين البالغ من العمر ٤١ عاما والذى نقله خروشوف من منظمة الشباب الشيوعى ليرأس لجنة أمن الدولة •

وبتعيينه مستر شيلبين فى مكان الجنرال ايفان سيروف الذى أصبح الآن أحد نواب المارشال سوكولوفسكى رئيس أركان حرب الجيش ، أثار مستر خروشوف عاصفة سياسية خطيرة . فمستر شيلبين ينتمى الى أصل تركى ويميل الى التحرر مثل جماعة الشبان الاتراك الذين ثاروا على الاستبداد العثمانى فى عامى ١٩٠٨ و ١٩٠٩ •

ومستر شيلبين يجمع بين يديه سلطات ضخمة ويعد مصدر قوة لمستر خروشوف • وهذا أيضا يمكن أن يقال عن مستر اد جوبى زوج ابنة خروشوف الذى ظل خمس سنوات يرأس تحرير صحيفة الشباب الشيوعى • ومنذ أشهر قليلة عين مستر أدجوبى رئيسا لتحرير ازفستيا السوفيتية •

وقد أكد أحد الصحفيين البارزين فى موسكو أن مستر

أدجوبى سيصبح رئيسا لتحرير صحيفة البرافدا فى خلال ثــلاثة أعوام •

واختيـــــــار مستر خروشوف لزوج ابنته ليكون من بين مساعديه المخلصين يكشف عن جانب هام من شخصية خروشوف فهو يهتم كثيرا بأسرته ، وأسرته هى مركز حياته ، وجميع أوجــه النشاط الأخرى تشع من هذا المركز • ومستر خروشوف له أربعة أولاد قتل أحدهم فى الحرب ، وعندما تزوج الباقون كبرت أسرته وتعدد أفرادها •

ومستر خروشوف لا يخفى حياته العائلية كما فعــل ستالين وجيل كامل من الزعماء الشيوعيين • وعندما يقوم خروشوف برحلة خارج البلاد يفضل أن يصحب معه أحد افراد أسرته •

وغالبا مايصطحب معه ابنهسيرجى البالغ منالعمر ٢٤ عاما والذى تخرج من معهد البحوث الذرية فى موسكو • وهو شـــاب مرح خجول ويضع على عينيه نظارة طبية • ومستر سيرجى عضــو بلجنة الابحاث التى حصلت منذ أسابيع قليلة على جائزة لينين فى العلوم • وقد تزوج مستر سيرجى من زميلة له تخرجت فى المعهد نفســـه •

ولكن مستر خروشوف لا يصطحب معه كثيرا ابنته الكبرى جوليا وهى امرأة جذابة فى العقد الرابع من عمرها ومتزوجة من مدير أوبرا كييف •

ومــــدام خروشوف هى الزوجـــــة الثانية لرئيس الوزراء السوفيتى فقد تزوجها فى عـــام ١٩٣٨ بعد وفاة زوجته الأولى • والزوجة الثانية لخروشوف امرأة ساذجة عاشت فى الريف مثــل زوجها •

ومدام خروشوف امرأة نشيطة تحتفظ بهدوئها ووقارها • وهى تعبر عن آرائها لزوجها بصراحة ودقة أكثر مما يفعل زمــــلاء خروشوف السياسيين • فقد كانت تعمل مدرسة للغة الانجليزية فى بداية حياتها • وزوجها لا يعرف هذه اللغة ، ولكن ابنه سيرجى يجيد الانجليزية وكذلك ابنته الصغرى رادا التى تزوجت مســـتر أدجوبى •

وتقول موسكو أنه عندما تقدم مدام خروشوف نصيحة الى زوجها فانه يعمل بها عادة • فقد ذهبت مرتين في الربيع الماضى لمشاهدة عرض أمريكى للانزلاق على الجليد أقيم فى قصر لينين الرياضى • ثم نصحت مستر خروشوف بضرورة مشاهدة هذا العرض ، وبعد ذلك بيومين كان مستر خروشوف فى قصر لينين يشاهد العرض الامريكى وحدث ذات مرة أن ظهر مستر خروشوف فى تليفزيون موسكو وهو يرتدى الزى العسكرى ، وقالت له مدام خروشوف بعد ذلك أنه لا يليق الظهور بهذا الزى فى التليفزيون • ومنذ ذلك الوقت لم يرتد سوى الملابس المدنية •

ومستر خروشوف يحتفظ بعدد من الموظفين الأكفاء المتيقظين ، فلديه كثير من الباحثين وكتاب الخطب • وهو يعتمد على معلوماتهم • ولكنه غالبا ما يترك الخطاب الرسمي جانبا ويفضل أن يرتجل خطبه • ومستر خروشوف شغوف بالقراءة الى أقصى حد • وقد اعترف أمام مؤتمر الكتاب السوفييت منذ أشهر قليلة بأنه أحيانا كان يربط نفسه فى المقعد الذى يجلس عليه لكى يظل متيقظا أثناء القراءة • وهو يقرأ كل يوم كثيرا من تقارير المسئولين وبرقيات الدبلوماسيين وخطب الزعماء الغربيين لدرجة أنه لا يجد وقتا لعمل أى شىء آخر •

ولكنه يصر على أن يطلعه موظفوه على كل شىء داخل مجال اختصاصه وقد تعود خروشوف على أن يقرأ مجلة أمريكا « وهى مجلة شهرية تصدرها وزارة الخارجية الامريكية باللغة الروسية • كذلك يواظب على قراءة بعض الصحف الامريكية الفنية .

وهذه الرغبة الجامحة فى معرفة كل شىء هى التى تفسر لنا سر اهتمامه بالزيارة التى سيقوم بها الى الولايات المتحدة •

ومستر خروشوف فضلا عن هذا فهو سياسى بارع • وهذا يعنى أنه يحس أنه فى منزله عندما يكون بين شعبه • وعندما أراد أن يثبت لمستر نيكسون أن الروس ليسوا عبيدا رأى أن من الأفضل أن يصحبه فى رحلة فى نهر موسكو حيث قام بمصافحة « العبيد الشيوعيين » •

واذا لم يكن مستر نيكسون هناك فى ذلك الوقت فمن المحتمل

ان مستر خروشوف كان سيقوم برحلة خاصة على طول نهر موسكو ويحيى « العبيد السوفيت » بالطريقة نفسها . ويقوم مستر خروشوف برحلات متعددة فى نهر موسكو . وفى فصل الصيف يخرج خروشوف الى رحلته المفضلة مرة كل أسبوع ، حتى أن سكان موسكو يسألون انفسهم صباح كل يوم اثنين : « ماذا كان يفعل نيكيتا فى النهر أمس ؟ »

الفصل الثانى

الجو الأدبى والفكرى

خمس سنوات من زعامة نيكيتا خروشوف قد غيرت وجه روسيا وجعلتها تتخذ مظهرا جديدا • ولكن هل هذا التغير حقيقي أو أنه مجرد قناع يخفي وراءه المطامع التى كانت تراود ستالين ؟ •

وأول شيء يجب أن يقال ويجب أن نعيده مرة ومرات هو أن ستالين قد مات وماتت من بعده روسيا الستالينية • وليس من المحتمل أن تبعث من جديد فى وقتنا هذا • وروسيا فى عهد خروشوف تضم بقايا حكم ستالين الذى استمر ٢٥ عاما • ومنذ موت ستالين فى عام ١٩٥٣ لم يحدث شيء فى الاتحاد السوفيتى يمنع ظهور ستالين جديد • ولكن روسيا اليوم لن تتهاون ازاء أى ستالين جديد ، هذه هى الحقيقة السياسية الرئيسية التى ترتكز عليها سياسة مستر خروشوف • وهذا لايعنى بطبيعة الحال أنه لا يوجد أى تشابه بين روسيا فى عهد ستالين وروسيا فى عهد خروشوف • غير أن الاختلافات تطغى تماما على أوجه الشبه بين العهدين •

ومن المؤكد أن موت ستالين منذ خمس سنوات قد أدى الى ظهور تغيرات كثيرة فى روسيا • ولكن اتجاهات وعمق هذه التغييرات لم يتضحا بعد •

وليس من المحتمل أن تعود روسيا من جديد الى عهد الارهاب الذى ظهر لأول مرة منذ ٤٠٠ عام أثناء حكم ايفان الرهيب •

أما اليوم فقد أصبحت الصورة واضحة • فلم تختف جميع أساليب الارهاب والتخويف ، ولكن روسيا لا تحكم الآن بالسوط

ولم يعد البوليس السرى يقرع الأبواب فى الليل . ان صورة الاتحاد السوفيتى اليوم أصبحت تضم كثيرا من التغييرات : تغيير فى الاساليب وتغيير فى الشخصية وتغيير فى طرق التفكير وطرق الحكم وتغيير فى نفسية الاشخاص العاديين . وتتساءل شعوب الغرب هل حدثت تغييرات كثيرة منذ أن مات ستالين ؟ والجواب : هناك كثير من التغييرات ولكن من الصعب أن نعرف من أين تبدأ .

وقد يكون الكرملين هو أفضل مكان نبدأ منه . ففى أوائل عام ١٩٥٣ كان منظر الكرملين يبعث على التشاؤم حيث كان قلعة سرية يستخدمها دكتاتور عجوز فى وضع خططه الارهابية . أما اليوم فقد أصبح الكرملين مكانا يؤمه السياح من جميع أنحاء العالم وأصبح يضم قاعة احتفالات تذكارية ومقهى يقدم المشروبات لرواده وهناك زوارق للرحلات تمر أمام أسوار الكرملين على طول نهر موسكو . أما الميدان الاحمر القريب من قصر الكرملين فيمتلئ بالقادمين من خارج العاصمة السوفيتية وهم يرتدون زيا قديما .

وفى مدينة لوبيانكا نجد أحد الابنية التى كانت مقرا لادارة معسكرات الاعتقال فى سيبيريا قد تحول اليوم الى مخزن تجارى ضخم ، وأصبح بمثابة سوق كبيرة تضم مختلف البضائع .

وفى شارع أرباب ـ وهو شارع تجارى ضيق تعود ستالين ان يعبره عند مغادرته الكرملين فى طريقه الى منزله الريفي ـ كان رجال البوليس يقفون على جانبيه ، ولا تزيد المسافة بين الواحد والآخر عن ٣٠ ياردة . واليوم يمر ركب مستر خروشوف فى هذا الطريق نفسه ولكنك لا تكاد تجد أثرا لرجال البوليس .

وفى عام ١٩٤٩ كان الروس يحاولون التجسس على الاجانب الذين يفدون الى بلادهم ، ويتعقبونهم فى كل مكان . أما فى عام ١٩٥٩ فانهم يتحدثون اليهم ويصحبونهم فى أماكن مختلفة ويكونون معهم صداقة قوية .

وكتب ستالين لم تحرق بعد موته . وتستطيع أن تجد كتابه عن « اللينينية » على الارفف العليا بمخازن الكتب وقد غطاه التراب لأنه لم يعد يجذب أنظار القراء ولكنك تجد واجهات قد امتلأت بالكتب المترجمة عن اللغات الاجنبية والتى وضعها مؤلفون

غربيون . وتستطيع أيضا أن تقرأ مؤلفات ديستويفسكى والمؤلفات الأمريكية وغيرها .

ولكن هل هذا يعنى أن روسيا قد هجرت الشيوعية ؟ هذا ليس صحيحا . فلم يتغير كل شىء فى الاتحاد السوفيتى ومايزال الشيوعيون المخلصون يحلمون باليوم الذى يسود فيه نظامهم جميع أنحاء العالم ويقضى على النظام الرأسمالى نهائيا .

هل يأملون فى تحقيق هذا الحلم عن طريق الغزو العسكرى ؟

اذا كان الأمر كذلك فانك لن تجد من يقول هذا بصراحة .

وسوف يقول لك الشيوعيون مرات ومرات ـ كما قالوا فى عهد ستالين ـ ان الرأسمالية نظام فاسد من أساسه وان الشيوعية سوف تنتصر دون ان تدخل فى معركة .

وقد ألقى مستر خروشوف عدة بيانات بهذا المعنى . وكانت هذه الفكرة فى ذهنه عندما قال لاحد الصحفيين الغربيين :

« اننا سوف ندفعكم » أى ان الشيوعية ستقوم بتشييع جنازة الرأسمالية ومن السهل ان تجد مناطق لم يمسها أى تغيير منذ موت ستالين فمحررو صحيفة « برافدا » الناطقة بلسان الحزب الشيوعى السوفيتى ما زالوا يسلكون نفس الطريق الذى رسمه ستالين ، وفى وزارة الخارجية السوفيتية تجد كثيرا من المسئولين يدافعون بحماس عن سياسة الحرب الباردة . والرقيب يحذف فقرات كثيرة من برقيات المراسلين الاجانب ماعدا مندوبى الصحف الشيوعية وادارة الصحافة التى تشرف على نشاط المراسلين الأجانب تحابى فئة وتتشدد مع فئة أخرى .

ولا يسمح لليهود بالالتحاق فى وظائف وزارة الخارجية السوفيتية ولكنهم لايتعرضون الآن للنفى او القتل .

ويقوم بوليس الامن بتحديد المناطق التى يسير فيها الملحقون العسكريون الغربيون واحيانا المراسلون الاجانب .

أما اذاعة صوت أمريكا الموجهة باللغة الروسية، فلا تسمع

داخل الاتحاد السوفيتي بسبب اجهزة التشويش التي تسلط عليها من روسيا .

ويقوم البيروقراطيون الاغنياء بالاشراف على مدن سيبيريا العتيقة . ويقول خروشوف انك قد تصاب بذهول اذا رأيت الآلات البالية في بعض مصانع موسكو . وقد تنتظر عاما أو اكثر لتحصل على تليفون في منزلك . كما تنتظر عامين أو ثلاثة حتى تحصل على سيارة فولجا ثمنها ٤٠٠٠ر٤٠ روبل (أى ما يعادل ٤٠٠٠ر٤ دولار بسعر التبادل للسياح أو ١٠٠٠٠ر١٠ دولار بالسعر الرسمى) ولكن مهما حدثت تغييرات فانها دائما تكون فى مصلحة البلاد . فالشعب السوفيتي يعيش الآن فى ظروف بعيدة كل البعد عن درجة الكمال ، أحسن بكثير من تلك الظروف التى كانوا يعيشون فيها منذ ٤٥ عاما .

كذلك تغيرت نفسية الشعب فلم تعد ترى وجوها عابسة أو اشخاصا متبرمين في شوارع موسكو . وكذلك تسمع سائقى التاكسى وهم يرددون أحدث النكت . كما تسمع الفتيات الروسيات وهن يتحدثن عن الاسعار فى الولايات المتحدة . كذلك عادت الحياة الى « فندق متروبول » بعد أن كان الوجوم يخيم عليه .

ويتمنى الشعب السوفيتي ان يمضى اوقاتا مسلية كما يتمنى أن يمتلك السيارات ويعيش فى منزل حديث . واحيانا ما يتمنى السوفييت ان يعيشوا فى المستوى الذى يعيش فيه الامريكيون .

وسمعت احد ضباط سلاح الطيران السوفييتى وهو يتحدث فى أمل « ان موسكو اصبحت تشبه نيويورك الى حد كبير ، أليس كذلك ! انني أعرف أن هناك كثيرا من الأضواء في شارع برودواى ، ولكن شارع جوركى يشبه نيويورك كثيرا . مارأيك ؟ » .

والشعب السوفيتى عموما يأمل ان ينتصر السلام ويرددون دائما كلمات السلام . والشعب السوفيتى يبدو أحسن حالاوقد قال مستر ميكويان فى فخر « انك غالبا لا تستطيع أن تعرف اذا كانوا أمريكيين أو روسيين لو نظرت الى ملابسهم خاصة فى وقت الصيف » . ولا شك انه على حق فى هذا فهناك عدد كبير من

الروس يسيرون فى شارع جوركى الذى يصرون على تسميته «برودواى» ويرتدون ملابس مختلفة الالوان والاشكال تجعلهم يشعرون انهم لا يقلون عن الامريكيين فى شيء

ان الشعب السوفيتي يشعر الآن بارتياح ، فقد زال التوتر الذى خلقته سنوات طويلة من الرعب والارهاب • وسكان موسكو يدخلون فى مناقشات مع الاجانب فى هذه الايام دون خوف اوتردد فكثيرا ما يجتمع طلبة الكليات والشباب حول سيارات الاجانب ، ويسالون عن الحياة فى الولايات المتحدة ولم يعد رجال البوليس يمنعون مثل هذه الاجتماعات • ولكن منذ خمس سنوات كان رجال البوليس يسوقون مثل هؤلاء الاشخاص لاستجوابهم أو لمحاكمتهم •

ويقول صحفى روسى شاب : « منذ ثلاث سنوات كنت أنا وزميل لى الصحفيين الوحيدين اللذين يسمح لهما بمصادقة الامريكيين وكنا نحس أننا نحتكر هذا العمل . أما الآن فقد أصبحت مصادقة الأجانب أمرا عاديا فيستطيع كل فرد أن يجد له صديقا غربيا » •

وقال شخص من سيبيريا فى فخر « انا حر فأنا لا انتمى الى أى حزب ولى آرائى الخاصة التى تختلف تماما عن آراء الحكومة » •

كل هذا ـ كما قال روسى شاب ـ ليس شيئا غريبا • انه نتيجة لسياسة حكومة اقامت نفسها مكان دكتاتورية ستالين الحديدية . فمنذ ستة أعوام مات ستالين وهو يتأهب للقيام بحركة تطهير واسعة النطاق لتشديد قبضته على البلاد ومنذ ستة أعوام وقف بيريا ومولوتوف ومالينكوف ليلقوا الخطب أمام قبر ستالين عند تشييع جنازته عام ١٩٥٣ . وفى ذلك اليوم كان خروشوف رئيسا للجنة أعدت ترتيبات الجنازة ، ولم يكن خروشوف معروفا فى هذه الفترة •

واليوم اختفى بيريا ومولوتوف ومالينكوف وبقى خروشوف وبقى معه المستر ميكويان صديقه المخلص والمارشال فورشيلوف الذى يشغل منصب رئيس مجلس السوفييت الاعلى •

ان الطابع الذى تتميز به روسيا فى هذه الايام هو طابع مستر خروشوف ـ ذلك الرجل القوى النشيط العملى السريع .

والصورة التى تعرضها لنا الزعامة السوفيتية فى الوقت الحاضر هى صورة تتسم بالثقة . فقد اختفت تلك الايام التى كان ستالين يدبر فيها المؤامرات ضد خصومه وحلت محلها أيام مليئة بالثقة فى المستقبل تؤيدها الاختراعات الحديثة مثل الاقمار الصناعية والصواريخ عابرة القارات ، ويدعمها النجاح الذى احرزته روسيا فى مجال الصناعة والزراعة ويعززها الانتصار السياسى الذى حققه خروشوف بعد هزيمة جبهة مالينكوف ـ مولوتوف .

وتحاول روسيا عموما أن ترفع من قدر بضائعها وصناعاتها وفى الوقت نفسه تعمل على الاقلال من أهمية المنتجات الامريكية . ومع هذا فان التقدم الذى احرزته الولايات المتحدة فى جميع المجالات ما يزال الهدف الذى تريد روسيا تحقيقه لنفسها .

والى جانب أحاديث الفخر والمباهاة فى الاتحاد السوفيتى هناك اتجاهات جديدة لها أهميتها : فالشعب الروسى لم يعد فى معزل عن العالم الخارجى وانما يهتم بجميع التطورات التى تحدث خارج الستار الحديدى الروسى . والروس عموما يبدون اهتماما كبيرا بكل جديد ، ويرحبون بالآراء الجديدة ويتلقون بشغف جميع المخترعات الحديثة ويقتبسون منها ويفتحون ابوابها بكل ماهو مبتكر ويظهرون عداءهم للروتين والقوانين البالية . وهكذا نجد ان الروس على استعداد لاستقبال الافكار الجديدة والاستفادة منها بعد ان كانوا يرفضون كل ما هو اجنبى .

ومستر خروشوف لم يذق فى حياته طعم المياه الغازية قبل افتتاح المعرض الامريكى فى موسكو هذا الصيف . وكان يعتقد أن المياه الغازية من الاختراعات السيئة التى أوجدتها الرأسمالية وعندما تذوق البيبسى كولا لاول مرة لم تمض أربعة أيام حتى كان المسئولون فى وزارة التجارة السوفيتية يبحثون مع الأمريكيين الخطوات اللازمة لادخال المشروبات الغازية فى الاتحاد السوفيتى . وقد بدأ ميكويان فى تزويد شوارع موسكو الرئيسية بثلاجات تبيع هذا المشروب الجديد اوتوماتيكيا . وكان السوفييت بالامس

يتناولون الصودا والمشروبات الروحية • ولكنهم غدا ربمايتناولون البيبسى كولا وغيرها من المياه الغازية •

ولا يشك مستر خروشوف أو أحد أتباعه فى قوة النظام الشيوعى وتفوقه على أى نظام آخر • ومع هذا فانه لا يعترض على اقتباس فكرة جديدة من الحياة الرأسمالية اذا رأى أن هذه الفكرة ستحقق فائدة لبلاده •

وحتى اذا تبين خروشوف ان سياسته سوف تغير وجـــه الشيوعية اذا لم يكن جوهرها فانه لن يهتم بهذا لانه واثق من قدرته على توجيه دفة البلاد •

وهذه الثقة ترجع الى المكاسب التى حققتها لروسيا منذ عام ١٩٥٣ والى احساسه بأن هذه الدولة أصبحت أقوى مما كانت •

عندما مات ستالين ترك لخلفائه كثيرا من المشكلات المعقدة • فروسيا عام ١٩٥٣ لم تكن قد استردت قوتها بعد الخسائر البشرية الهائلة التى تكبدتها فى الحرب العالمية الثانية وسـياسة سـتالين المحوطة بالسرية التامة قد أخفت عن العـالم مدى الضعف الذى تعانى منه البلاد •

ورفض ستالين أيضا ان يحدد بالضبط الخسائر التى أصابت روسيا أما الآن فقد عرفت جميع هذه الخسائر بعد أن أمر مستر خروشوف بالقيام باحصائيات دقيقة فى البلاد •

لقد ترك ستالين شعبا نصف مشلول نتيجة للخوف والرعب اللذين كان الشعب يعيش فيهما • كل فرد يعمل تحت تهـديد الارهاب ، وكانت سيبيريا المقر الدائم للبوليس السرى ومعسكرات العمل والمعتقلات • وروسيا فى عهد ستالين كانت بمثابة سجـن كبير يعيش فيه شعب مغلوب على أمره • فكانت ملايين الاشخاص ينتزعون من منازلهم ويلقون فى المعتقلات والسجون دون ذنب اقترفوه وكانت عشرات الآلاف من سكان بحر البلطيق يشحنون على السفن الى سيبيريا • وتعرض شعب اوكرانيا الى أساليب مختلفـة من الضغط والارهاب وقام ستالين أيضا بتشتيت التتار وابادة قبائل

القوقاز واضطهاد اليهود بوحشية بالغة لم يروا مثلها حتى فى أسوأ أيام القياصرة .

وبعد موت ستالين خشي خلفاؤه أن يثور الشعب ضدهم ولكن هذا لم يحدث • ومع ان خوفهم كان له مايبرره ، كما يظهر من الثورة التى قامت فى بعض معسكرات الاعتقال • ولكن خروشوف قضى على امبراطورية الارهاب ووضع نظاما يقوم على أساس الحرية المحدودة• ويطلق الزعيم السوفيتى الحريات تدريجيا ولكنه من وقت لآخر يقيدها بعض الشىء كما حدث فى ثورة المجر •

وقد تسمع أحد الروس وهو يتحدث فيقول : « الآن قد اصبحنا أحرارا » دون أن يعرف المعنى الواسع الذى تنطوى عليه كلمة « الحرية » وتستطيع ان ترى عشرات الآلاف من الروس وهم يتقابلون ويتحدثون ويتناقشون هم والزوار الأمريكيين فى موسكو ويبدو كل شىء على مايرام . ولكن أحيانايتدخل البوليس وأحيانا يقبض على أحد الاشخاص ويستجوب أو يوجه اليه تحذير ثم يطلق سراحه •

وكان فى جامعة لننجراد طالب عرف بخروجه على مبادىء الحزب الشيوعى ، وفجأة أبلغ هذا الطالب أنه من الافضل له أن يطلب نقله الى طشقند •

وخلف ستالين وراءه نظاما زراعيا باليا ترك الاتحاد السوفيتى على أبواب مجاعة • ولكن مستر خروشوف امر باستغلال الاراضى التى تعتمد على مياه الامطار • واحرزت هذه الفكرة نجاحا منقطع النظير ••• وحققت هذه الاراضى الاكتفاء الذاتى للاتحاد السوفيتى فى المجال الزراعى •

ولم يرث خلفاء ستالين شيئا ذا قيمة الا المصانع السوفيتية الضخمة التى تنتج الصلب وبعض البضائع الانتاجية الاخرى • وكان هناك عيوب كثيرة فى هذه المصانع لم يستطع أحد أن يعرفها قبل عام ١٩٥٣ ومع هذا فلم يتوقف انتاج هذه المصانع •

وفي المجال العلمي أثبتت الحكومة الروسية تقدما عظيما ونجاحا في مجال الأسلحة النووية والصواريخ الموجهة جعل مستر خروشوف قادراً على أن يدفع روسيا الى الامام لتحتل مكانها المرموق في العالم . وفضلا عن هذا فان الاسلحة الحديثة ساعدت مستر خروشوف على أن يحل احدى المشكلات التي اعترضت طريق ستالين ، وهي مشكلة توفير الايدى العاملة ففي أواخر أيام ستالين أحس هذا الدكتاتور بأن مشكلة الايدى العاملة انما هي بمثابة حلقة أخذت تضيق حول رقبته وخشى أن تزداد حاجة البلاد الى العمل دون أن تجد الايدى العاملة اللازمة لمواجهتها .

أما مستر خروشوف فقد خفض الجيش السوفيتي واستخدم هذه الاعداد الضخمة في الصناعة . والجيش السوفيتي الجديد اقل عددا واحسن تدريبا .

وبفضل الصواريخ العابرة للقارات أصبح هذا الجيش اقوى بكثير مما كان يحلم به ستالين ... ويريد خروشوف من العالم ان يذكر هذه الحقيقة على الدوام .

كذلك ترك ستالين وراءه سياسة خارجية مضطربة فكانت موسكو تحكم دول أوروبا الشرقية عن طريق بوليس بيريا . وكانت الصين الشيوعية بمثابة شوكة في جنب روسيا . وكانت آسيا الحيادية وافريقية والشرق الاوسط من بين المناطق التي تعرضت لحملات ستالين العدائية ونشبت حروب أقليمية بين الشرق والغرب واستمرت عدة سنوات واشتعلت الحرب في كوريا وفي الهند الصينية .

واستطاع خروشوف ان يواجه هذه الصعوبات ويتغلب عليها بسرعة : فقد أقام علاقة حسنة مع دول أوروبا الشرقية — مع ما في هذا من أخطار — وما زالت الصين لغزا محيرا . ولكن الصداقة والمودة قد حلتا محل سياسة ستالين العدوانية تجاه الدول الحديثة .

وبالنسبة للغرب بدأ العدوان المسلح يختفي وتظهر مكانه سياسة جديدة ذات ثلاثة اوجه :

فأحيانا تزمجر موسكو وتهدد وأحيانا تتودد وتتقرب واحيانا تستخدم الاساليب الدبلوماسية .

ولو اخذنا فى اعتبارنا جميع هذه التغييرات لوجدنا انها خلقت من روسيا دولة أكثر قوة وأكثر امنا من روسيا الستالينية التي كانت أكثر تعقيدا واكثر صلابة .

ونواحي القوة فى روسيا الحديثة تفوق كثيرا من نواحي الضعف فالاتحاد السوفيتي لديه كثير من المشكلات ، ومستر خروشوف يواجه كثيرا من الصعوبات وبعض هذه المشكلات اخطر مما نتصور .

ويرى مستر خروشوف ان الاتحاد السوفيتي يسير بخطا سريعة ليلحق بالولايات المتحدة ــ هذه الدولة المتقدمة صناعيا وما زال امام روسيا طريق طويل شاق حتى تصل الى الدرجة التي وصلت اليها امريكا .

وهذه هي احدى الحقائق التي لن ينساها مستر خروشوف . ولنأخذ مثلا على ذلك : فمستر فلاديمر ماتسكيفتش وزير الزراعة في حكومة خروشوف يحاول جاهدا تعويد الفلاحين السوفييت اتباع الاساليب الحديثة التي شاهدها عند زيارته لولاية « ايوا » الامريكية عام ١٩٥٥ .

وسيكون مستر ماتسكيفتش محظوظا اذا نجح فى هذه المهمة خلال السنوات الخمس القادمة ، ولكن ولاية «ايوا » لن تبقى جامدة حتى تلحق بها المزارع السوفيتية . فهذه الولاية الامريكية تتقدم تقدما سريعا ، ومن الصعب على وزير الزراعة السوفيتى أن يجعل بلاده تصل الى المستوى نفسه في سنوات قليلة ولكن مستر خروشوف يؤمن ايمانا راسخا بأن الشيوعية سوف تتفوق حتما على الرأسمالية فقد قال لبعض الامريكيين « انكم اليوم اغنى منا ولكننا غدا ستكون أغنى منكم » .

والشعب السوفيتي ينتظر من مستر خروشوف ان يفي بهذه الوعود ، ولكن هذا ينطوى على اخطار جسيمة فعندما تنضج

« شهية » روسيا ، ستصبح هذه الدولة كالوحش الضارى الذى يبتلع كل مافى طريقه ويريد المزيد · ويمكننا ان نتصور نتائج هذا الضغط على اقتصاد روسيا الضعيف ·

والى جانب هذا هناك اخطار كثيرة : فالطريق الذى يسلكه خروشوف يلزمه دائما ان يترك الشعب السوفيتي يزيد من أطلاعه على الثقافة الغربية ويدرس الاوضاع في الدول المحيطة به ويعرف الكثير عن المشروعات الحرة وعن الديمقراطية وعن ارتفاع مستويات المعيشة فى الخارج وعن تعدد الفرص أمام الافراد ·

ولكن هذه ليست مشكلات تضايق المستر خروشوف ، ولكنها تضايق فعلا زملاءه فى الحكومة الذين يعتبرون الشيوعية نظاما ما ، يقوم على أساس الثقة التامة وهذا النظام لا يسمح بتعدد الفرص ·

وقد اصيب الرقباء السوفييت بذهول شديد عندما وجدوا كتبا امريكية عن روسيا أمام الجميع فى المعرض الامريكى بموسكو ·

والروس الذين يجيدون اللغة الانجليزية يمكنهم مطالعة الاحداث التى تجرى فى الاتحاد السوفيتى فى الصحف الغربية التى تصدر بهذه اللغة وهذه الاحداث عادة تختلف فى تفاصيلها عما ورد فى الانباء الرسمية السوفيتية وقد ظل الشعب السوفيتى سنوات عدة محروما من معرفة الآراء والثقافات الغربية ·

والروس معروفون بتطرفهم : ففى كل مرة يتذوقون طعم الحرية يطلبون المزيد ولا شك أن بعض المسئولين الشيوعيين يعربون عن استيائهم لهذه التطورات ويعتقدون ان سياسة خروشوف هي التى أدت الى هذا الوضع ·

وقد بدأ عدد من الروس يتحدثون الآن ـ كما كان يتحدث البولنديون منذ ثلاثة اعوام تقريبا ـ عن التقارب بين النظام الشيوعى والنظام الرأسمالى وعن تعديل النظام الشيوعى ليساير نظم الغرب ، وتعديل النظم الغربية لتناسب نظم الشرق · وقد انتشرت تكهنات من هذا النوع حول علاقات روسيا مع الصين فى الماضى والحاضر والمستقبل ··· وخاصة ان الصين الشيوعية مازالت لغزا غامضا فى العالم الشيوعى ·

واذا كان الاتحاد السوفيتي يريد اقامة مجتمع يسوده شيء من الحرية ويتيح فرصا أكثر لأفراده ، فان الصين تتخذ موقفا يختلف تماما عن موقف روسيا ، فهي تريد مجتمعا يسوده التقشف وعدم الاسراف .

ولسنا في حاجة الآن الى معرفة مدى قوة خروشوف السياسية . فقد اثبت كفايته ومقدرته على توجيه دفة الامور . كذلك انتهت المؤامرات والدسائس التى كانت تميز السنوات الاولى التى اعقبت موت ستالين . فمستر خروشوف ليس أمامه أي منافس في الاتحاد السوفيتي بأكمله . ولكن هذا لا يعني انه ليس هناك آراء مختلفة في الاتحاد السوفيتي : فهناك عدة دلائل تؤكد ان كثيرا من الروس في موسكو مازالوا يفضلون طريقة ستالين في الحكم . ويعتقد كثيرون أن مالينكوف وحده هو الذى يستطيع ان يشرح فلسفته وينفذها . وهناك عدد من رجال الجيش السوفيتي يعتقدون أن مارشال زوكوف قد طرد من منصبه بغير وجه حق .

ومع هذا فليس هناك الآن فرد يفكر في تحدى مستر خروشوف فقد بلغ الخامسة والستين من عمره غير أن قليلا من الرجال الذين بلغوا نصف عمره يستطيعون ان يفوقوه نشاطا .

ولكن وراء مستر خروشوف نجد دولة تغيرت تغيرا شاملا منذ موت ستالين هذه الدولة اصبحت أكثر قوة واكثر اعتمادا على نفسها .

ومع هذا فانها تواجه كثيرا من المشكلات والصعوبات .ولكن روسيا الحديثة يجب ان تقيس مدى تقدم مجتمعها الشيوعي عن طريق منافسة المجتمعات الغربية الاخرى .

وكان ستالين يتبع سياسة تقوم على اساس اضطهاد العناصر السامية ومحاولة القضاء عليها عن طريق استخدام الاساليب الارهابية .

ونتيجة لهذا فقد آلاف اليهود وظائفهم ، وشردوا من ديارهم وأرسل آلاف منهم الى السجون والمعتقلات ، وقتل عدد كبير رميا

بالرصاص ويجب ان نذكر انه لم تعد تتبع سياسة اضطهـــاد اليهود : فحياة اليهودى فى روسيا اصبحت الآن أفضل بكثير مما كانت فى السنوات الاخيرة من حياة ستالين • كما ان جميع اليهود فى الاتحاد السوفيتى يتمتعون بجميع الحقـوق التى يتمتع بها المواطنون السوفييت •

ولكن نتائج الاضطهاد الذى تعرض له اليهود فى عهد ستالين وآثار ذلك الاضطهاد بين الشعب لم تختف حتى الآن • وفى الحقيقة تقوم الحكومة بمجهودات فاترة لمواجهة هذه المشكلة : فالاتجاهات المعادية لليهود ما زالت منتشرة بشكل واضح •

والمشكلة اليهودية هى احـدى مشـــكلتين متعلقتين بالدين تواجهان الحكومة السوفيتية فى الوقت الحاضر اما المشكلة الاخرى فيمكننا ان نسميها « المشكلة المسيحية »

وترجع هذه المشكلة الى محاولات المسيحيين لنشر المــذهب المسيحى بين الشعب السوفيتى وخاصة بين الشباب على الرغم من استمرار الدعاية الالحادية وتعرض المسيحيين للاضطهاد • واحيانا يقابل المذهب المسيحى فى روسيا بدعاية هجومية عنيفة ضـــد الاديان •

وهاتان المشكلتان ـ المشكلة اليهودية والمشكلة المسيحية ـ قد أثارتا أسئلة اجتماعية كثيرة لم تستطع حكومة خروشوف أن تجد لها جوابا . فكلتا المشكلتين تدل على وجود انشقاق خطير داخل المجتمع السوفيتى . وهاتان المشكلتان تتعلقان بأمور لهـا اهمية كبيرة فى الولايات المتحدة .

وقال احد اليهود السوفييت : « فى أواخر أيام ستالين ماكان يجرؤ أحد على أن يعترف بأنه يهودى : فمثلا عندما كبرت كنت أعتبر نفسى روسيا لايهوديا .. ولكننى بعد الحرب لم أجد أى فرق بين الروسى واليهودى » •

والذى كان يعيش فى الفترة التى اعقبت الثورة البلشفية كان يعتقد أن دولا معدودة هى التى لاتضطهد اليهود .. لقد

انتهت أيام القياصرة ولن تعود واختفت معها الاساليب الرهيبة التى كانت تستخدم ضد اليهود .

وحتى حركات التطهير التى قامت فى سنة ١٩٣٠ والتىراح ضحيتها كثير من اليهود قد فشلت فى خلق شعور عام معادللعناصر السامية . وقد ظهرت نكتة فى ذلك الوقت تقول : « انك لست يهوديا ، فلماذا اعتقلت ؟ » ولم يظهر الاضطهاد الحقيقى لليهود فى الاتحاد السوفيتى الا فى بداية الحرب العالمية الثانية . ولكن هل كان للنازيين يد فى هذا ؟ ان السلطات السوفيتية تريد أن تقول ذلك :

ولكن هل كان ستالين يشجع هذا الاضطهاد ؟ ان كل مانستطيع أن نقوله هو أن ستالين لم يكن يرغب فى ايقافالاضطهاد اليهودى فقد كانت هذه هى السياسة الرسمية التى انتهجتها حكومة ستالين فى خريف سنة ١٩٤٨ . وظل اضطهاد اليهود السياسة الرسمية للحكومة السوفيتية الى أن مات ستالين .

وقال أحد الروس : « الفرق بين الارهاب فى عام ١٩٣٠ والارهاب فى عام ١٩٤٠ هو كما يلى : —

فى عام ١٩٣٠ يجب أن تكون شخصا هاما لكيلا تعتقل او تغتال .

أما فى عام ١٩٤٠ فلم يكن هناك فرق بين الشخص الهام وغير الهام فكل فرد معرض للاعتقال . وحدث ذات يوم أناعتقلشخص يعمل فى اصلاح الساعات وبعد أيام قليلة أعدم هذا الرجل لماذا ؟ لا أحد يعرف وحتى البوليس نفسه لايعرف ... وكل ماحدث هو أن أسمه كان فى قائمة الاشخاص المطلوب اعدامهم .

والى اليوم يعتقد كثير من الناس أن فكرة اضطهاد اليهود سيطرت على تفكير ستالين فى الايام الاخيرة من حياته . ولكنه كان يضطهد اليهود سرا منذ عام ١٩٤٨ . وقد تعرض مئات من اليهود البارزين للتعذيب والارهاب فى سجن لوبيانكا .

ولا يعرف أحد حتى الآن عدد الاشخاص الذين قتلوا خلال الحملة المعادية لليهود . وكانت هناك لجنة تعرف باسم اللجنة

اليهودية لمكافحة الفاشية وتضم ٢٤ من اليهود البارزين وعندما راجعنا القائمة الخاصة بأسماء هؤلاء الاعضاء لم نجد سوى شخصين فقط على قيد الحياة .

ولم يكن اضطهاد اليهود مقصوراً على موسكو وحدها وانما تضم معسكرات اليهود ـ فقد تعرض اليهود فى هذه المنطقة التى كانت تضم معسكرات اليهود ـ فقد تعرض اليهود فى هذه المنطقة الى اساليب مختلفة من الارهاب وكانوا ينقلون فى عربات الى سيبيريا . وهناك أيضا حوكم عدد من كبار اليهود بتهمة التآمر ، وحتى الآن هناك نسبة كبيرة من السكان اليهود فى مدن سيبيريا الشرقية عما نجد فى موسكو أو لننجراد أو كييف .

وعندما انشئت جامعة موسكو أعلنت انها حصن الثقافة الروسية ولكن لم يسمح لاى أستاذ يهودى بالتدريس فى هذه الجامعة ... وحتى الآن ليس بها سوى أستاذ يهودى واحد . وقد تكرر هذا فى أكاديمية العلوم . ولكن الاساتذة المتخصصين فى العلوم الطبية والرياضية من اليهود .

هذه السنوات من الارهاب والتفرقة والاضطهاد والكراهية قد أوجدت كثيرا من الامراض الاجتماعية التى يتعين على مستر خروشوف معالجتها .

ويبدو أنه وأتباعه قد وجدوا من الصعب مواجهة هذه المشكلات بطريقة عادلة . وقد أخفيت معظم حقائق الاضطهاد اليهودى عن الشعب ، مع أن مستر خروشوف وأتباعه يناقشون أحيانا المشكلات المختلفة مع بعض الزوار الاجانب .

وقد صرفت الحكومة السوفيتية معاشات لعائلات اليهود الذين أعدموا فى عهد ستالين واكدت لهم الحكومة أن اعدام اقاربهم قد تم ظلما . كذلك أفرجت الحكومة عن الضحايا اليهود المسجونين كما سمحت بعودة اليهود المنفيين .

وقد نشرت مؤلفات بعض الكتاب اليهود الذين اعدموا فى عهد ستالين ولكن دار النشر اليهودية والصحيفة اليهودية والمسرح اليهودى لم تستأنف نشاطها بعد .

كذلك احتفلت الحكومة رسميا بالكاتب اليهودى شوليم اليشيم بمناسبة الذكرى المئوية لمولده .. ونشرت جميع مؤلفاته باللغة الروسيه ووزعت منها ٢٢٥٫٠٠٠ نسخة . وقد ظهر مجلد صغير يحوى قصصه .. ونفد من السوق بسرعة .

ومازال اليهود محرومين من الالتحاق بالمدارس العسكرية العليا . ولا يسمح لهم بدخول الكلية الحربية أو مدرسة العلاقات الخارجية . كما أنهم يجدون صعوبة عند الالتحاق بالجامعة . وليس فى الصحف السوفيتية أى محرر يهودى ولم يتول اى يهودى منصبا هاما فى الحزب الشيوعى فى عهد خروشوف .

وهناك تحيز ضد اليهود فى المسائل الدينية : فمعابد اليهود قديمة ومحدودة ولا يسمح لهم الا بتدريب عدد محدود من رجال الدين كما أن منشوراتهم قليلة . ومنذ أشهر قليلة كتبت احدى الصحف المحلية فى أوكرانيا سلسلة من المقالات الهجومية ضد اليهود . وقامت سلطات أوكرانيا باغلاق بعض المعابد اليهودية .

ولكن لماذا فشل مستر خروشوف فى معالجة مشكلة الاضطهاد اليهودى بطريقة عادلة وسريعة ؟ ان بعض الساسة يرجحون انه قد تشبع بالموقف المعادى لليهود فى أوكرانيا — وهى الدولة التى نشأ فيها .

ويقول آخرون : ان مستر خروشوف فشل فى معالجة هذه المشكلة لان الشعور المناهض للعناصر السامية قد تغلغل فى نفوس الشعب واصبح سياسة شعبية .

وليس هناك احصاء رسمى لعدد اليهود الذين فى الاتحاد السوفيتى وقد حدد مستر خروشوف عدد هؤلاء اليهود بنحو ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ شخص ، على أساس الاحصاء الذى تم فى عام ١٩٥٩ . وكان هناك مابين ٤٫٥٠٠٫٠٠٠ و ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ يهودى قبل أن يغزو الالمان الاتحاد السوفيتى ويحتلون المناطق التى يسكنها اليهود .

ولاشك أن كثيرا من اليهود سوف يغادرون الاتحاد السوفيتى لو سنحت لهم أية فرصة : اذ لا يسمح بهجرة اليهود

من الاتحاد السوفيتى الآن . ويبدو ان الامل ضعيف فى السماح لهم فى المستقبل ، مع أن مستر خروشوف قد صرح منذ أسابيع قليلة بأنه قد يأتى اليوم الذى يسمح فيه بهجرة اليهود ولكن عندما تتهيأ الظروف .

وسوف يغادر اليهود الاتحاد السوفيتى لان الحكومة تعاملهم على أنهم أعداء للدولة السوفيتية ولان المواطنين السوفييت ينظرون اليهم على أنهم أقل منهم . والحقيقة هى أن حكومة خروشوف مثل حكومة ستالين تعامل الشعب اليهودى على أنه خطر يجب الاحتراس منه . ويبدو أن الامل ضعيف فى أن يتخذ خروشوف خطوة ايجابية لتصحيح هذا الوضع فى المستقبل .

والاتحاد السوفيتى ينتهج سياسة خارجية موالية للدول العربية ومعادية لاسرائيل ... والعلاقات الثقافية والدينية التى تربط اليهود السوفييت باسرائيل قد زادت من شكوك الحكومة السوفيتية فى اخلاص اليهود للاتحاد السوفيتى .

والمشكلة « المسيحية » التى تواجه خروشوف تختلف فى طبيعتها عن المشكلة اليهودية : فقد ظهرت نتيجة لاحياء المذهب المسيحى الذى أخذ ينتشر سرا فى الاتحاد السوفيتى خلال الحرب العالمية الثانية . وكثير من الكنائس التى استخدمت مخازن للحبوب أو مكاتب للحكومة قد أعيدت الى المسيحيين .

وطالما ان معتنقى الدين المسيحى من الطبقة المتوسطة ومعظمهم من النساء ... فان الحكومة لن تهتم كثيرا . وفى السنوات الاخيرة من حكم ستالين وفى السنوات الاولى بعد موته أصبحت الدعاية المعادية للدين لا قيمة لها ومع هذا فقد بدأت الكنيسة تجتذب عددا أكبر من الشباب وأصبح الزواج يتم فى الكنائس وأحيانا يذهب بعض الشبان الشيوعيين الى الكنيسة بدافع الفضول ليروا مايدور بها .

وبازدياد عدد الكنائس واقبال المسيحيين عليها بدأ دخل الكنيسة الارثوذكسية يرتفع . والروس معروفون بكرمهم . كما ان جمع التبرعات فى المناسبات الدينية يعد من المصادر الهامة التى تعتمد عليها الكنيسة . وهذه الاموال قد ساعدت رجال

الدين المسيحى على ترميم الكنائس القديمة وبنـــاء كنـــائس جديدة ..

واعتناق كثير من الشباب السوفييت الدين المسيحى قـد ازعج الحزب الشيوعى وجعله يلجأ الى استخدام سلاح الدعاية القديم : فالادب الالحادي أصبح منتشرا فى جميع المكتبات ، كمـا أن الندوات والمحاضرات الالحادية أصبحت تملأ النوادى العـامة وقاعات المحاضرات . وشكلت كذلك جمعيات الحادية تضم عددا كبيرا من الاشخاص . وتبذل « منظمة الشباب الشيوعى » كثيرا من جهودها وطاقتها لمقاومة آثار الدين على الشباب .

ويتزعم هذه الحملة المعادية للاديان مستر اليكس ادجوبى زوج ابنة خروشوف والمحرر السابق «بجريدةالشبابالشيوعى» .ولم يقتصر هجوم ادجوبى على الكنيسة الارثوذكسية وانما تعداه الى الكنيسة المعمدانية التى أثبتت قدرتها على اجتذاب عدد كبير من الشباب فى السنوات الاخيرة .

وقد تخصص مستر ادجوبى فى نشر مقـــالات تشـــبه « الاعترافات » مثل « حقيقة المذهب المعمدانى » أو « لماذا ترك جورجى ايفانوفتشى المذهب المعمدانى ؟ » وتتحدث بعض المقـــالات عن شباب الجامعة الذين كانوا منتظمين فى دراستهم الى أن بدءوا يذهبون الى الكنيسة واهملوا واجبهم .

وتحاول مقالات أخرى ان تربط بين القصيدةالدينيةوالخيال او الانانية أو بعض العيوب الخلقية . ووجهت هذه المقـالات اهتماما خاصا الى التصميم الذى يعيش فيه رجال الدين .

وهذه الحملة لم توجه تحت أى ضغط رسمى : فلم تغلق اية كنيسة أرثوذكسية أو معمدانية . وصرح أحد رجال الكنيسة المعمدانية أن كثيرا من الشباب قد اعتنقوا المذهب المسيحى بعد أن قرءوا عنه فى « صحيفة الشباب الشيوعى » .

ويبدو أن استئناف الحملة المعـادية للاديان لم يترك أثرا كبيرا فعلى الرغم من هذه الحملة يزداد عدد الاشخاص الذين

يعتنقون المذهب المسيحي كما يلاحظ في المناسبات الدينية .

واهتمام السوفييت بالمسائل الدينية يفسر لنا امرين :

الاول : هو عدم قدرة المذهب الشيوعي على الوقوف في وجه عقيدة الشخص أو أن يستبدل بها عقيدة أخرى .

الثاني : هو عدم قدرة الحكام الشيوعيين على أن يعترفوا بوجود عقيدة أخرى في أذهان الشعب سوى العقيدة النابعة من النظام الشيوعي .

الفصل الثالث

السياسة الخارجية

هل يستطيع الاتحاد السوفييتى أن يجد طريقة لتصفية نزاعه القائم مع الغرب قبل أن تحصل الصين الشيوعية على القنابل الذرية وتصبح ضمن الدول الكبرى ، التى تمتلك أسلحة نووية ؟ فى الواقع هذه هى المشكلة التى تواجه مستر نيكيتا خروشوف .

ان مستر خروشوف يعمل طبقا لخطة سرية . والغرب لا يعرف المسافة التى تفصل بين الصين الشيوعية وانتاج الاسلحة النووية .. ومستر خروشوف نفسه ربما لايعرف هذا . ولكنه فى وضع يسمح له بمعرفة دقات الساعة فى الصين .

وفى اعتقاد أحد كبار الدبلوماسيين الغربيين أن مستر خروشوف يعرف جيدا أنه فى اللحظة التى تمتلك فيها الصين الشيوعية القنبلة النووية سيتغير الميزان الدولى على الفور .

ويرى هذا الدبلوماسى أيضا ان خطر الصين قد أرغم خروشوف على أن يفاوض الغرب . ولكنه حتى الآن لم يعر تقديم العروض التى يتوقعها الغرب اهتماما كبيرا : وهو يشبه فى ذلك التاجر الحريص الذى يريد أن يحقق أكبر ربح ممكن .

ويقول دبلوماسى غربى آخر قضى عدة ساعات فى حديث مع خروشوف « ان خروشوف يريد السلام ولكنه يريد السلام بلا ثمن » .

هذا هو موقف خروشوف حتى الآن . وحصل أحد الصحفيين الغربيين على حديث صريح من مستر خروشوف هذا

الصيف . وقد اقتنع بعد هذا الحديث بأن الزعيم السوفييتى لن يقدم اية تضحيات للغرب وخاصة فيما يتعلق بمشكلة برلين ومشكلة توحيد المانيا .

وقد يكون هناك تقارب فى وجهات النظر بالنسبة لمشكلة نزع السلاح والاشراف على الأسلحة النووية . ولكن هذا الصحفي يقول : « ان خروشوف لن يتزحزح خطوة واحدة عن موقفه . فهو يعتقد أنه وضعنا على برميل ألمانيا المملوء بالديناميت » .

وهناك آخرون يعتقدون أن الموقف السوفييتى ليس متصلبا الى هذا الحد وفى رأيهم ان الولايات المتحدة تحط من قيمة الروابط الوثيقة التى تجمع بين الاتحاد السوفييتى والصين الشيوعية .

والواقع أنه ليس هناك دولة أكثر معرفة بمشكلة التعامل مع الصين من روسيا ولسنا ننكر أن هناك نزاعا داخليا بين النظام الشيوعى فى روسيا والنظام الشيوعى فى الصين يرجع تاريخه الى سنوات عدة . ولا ننكر أيضا أن ستالين أوشك فى عدة مرات أن يقطع علاقاته مع ماوتسى تونج .

وروسيا هى الدولة الوحيدة ، التى تعرف مدى قوة الصين الشيوعية وتفوقها فى مجال الايدى العاملة : فعدد سكان الصين يبلغ الآن٠٠٠ر٠٠٠ر٦٥٠ ، نسمة ويزيد بمعدل ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٠ نسمة فى السنة . أما الاتحاد السوفيتى فيبلغ عدد سكانه ٠٠٠ر٨٠٠ر٢٠٧ نسمة ويزيد بمعدل ٠٠٠ر٠٠٠ر٣ ، نسمة فى السنة .

وهذه الارقام وحدها كافية بان تجعل اى زعيم سوفييتى حذرا يتخذ الخطوات اللازمة لحماية موقف بلاده فى المستقبل .

وموسكو ليست على استعداد اليوم لان تسمح لاية دولة بان تتفوق عليها حتى لو كانت هذه الدولة هى الصين الشيوعية التى دخلت معها فى صراع مرير استمر فترة .

وبعض الامريكيين المطلعين ينكرون وجود اى صراع بين روسيا والصين وحتى خبراء وزارة الخارجية الامريكية لشئون

الشرق الاقصى يتمسكون بهذا الرأى ويوافقون على البيانات التى أصدرتها بكين وموسكو وجاء فيها أن هنــاك اتفاقا تاما بين البلدين .

ولكن اذا درسنا العلاقات الصينية السوفيتية بشىء من التعمق فسنجد كثيرا من الدلائل التى تؤكد أن هاتين الدولتين الشيوعيتين تسيران فى اتجاهين مختلفين : فبينهما الآن مشــكلات كثيرة تدور حول المسائل المذهبية وسياستيهما تجاه الغــرب ومناطق النفوذ فى الشرق .

وهناك علامات تدل على ظهور مشكلات أكثر خطــــرا فى المستقبل . وهناك مقياس دقيق لمعرفة مدى التباعد بين روسيا والصين ، وهو أن ندرس علاقات كل منهما بالولايات المتحدة .

فقد أبدى خروشوف استعداده لتحقيق التقارب بين روسيا والولايات المتحدة ولازالة التوتر القائم بين موسكو وواشنطن ، ولتقوية العلاقات السوفيتية الامريكية عن طريق تبادل الزيارات الشخصية وتوسيع التجارة بين البلدين .

وقد وجه السؤال التالى الى أربعة من الدبلوماسيين ــ اثنين من الغرب وواحد من دولة أوربية محايدة وواحــــد من دولة شيوعية صغيرة ــ هل تعتقد أن بكين سوف ترحب بالتقارب بين موسكو وواشنطن ، وأجاب كل واحد منهم بأنه لا يعتقد ذلك .

واختير ستة من الروس بطريقة غير منظمة ــ ومن بينهم بعض الصحفيين السوفييت وعدد من صــغار المسئولين وعــدد من المثقفين ــ ووجه اليهم السؤال نفسه : فأجاب اثنان منهم اجابات غامضة اما الباقون فوافقوا على رأى الدبلوماسيين الاربعة وقالوا: انهم لا يعتقدون أن الصين الشيوعية سوف ترحب بأى تقــارب بين موسكو وواشنطن .

وسياسة كل من روسيا والصين تجاه الولايات المتحدة تبين مدى الاختلاف بين هاتين الدولتين الشيوعيتين .

وفى الوقت الذى يحاول فيه الاتحاد السوفييتى تحسين علاقاته مع الولايات المتحدة أدارت الصين الشيوعية ظهرها لامريكا

واغلقت الباب فى وجهها بشدة ورفضت بكين السماح للامريكيين بدخول الصين . ويسرى هذا أيضا على مراسلى الصحف الامريكية، وعلى الشخصيات السياسية حتى الامريكيين المعروفين بصداقتهم للصين الشيوعية .

وفى بعض الاحيان تسمح بدخول عدد قليل من الامريكيين الشيوعيين أو الامريكيين ذوى الميول الشيوعية .

وفى احيان نادرة تسمح بدخول احد الاخصائيين أو الدارسين، وفيما عدا ذلك لا يستطيع أى شخص ان يدخل الصين الشيوعية. كذلك لا تحاول الصين القيام بأية خطوات من جانبها لتخفيف حدة التوتر القائم بينها وبين الولايات المتحدة : فالصحافة الصينية لا تكف عن مهاجمة امريكا وحتى فى أسوأ أيام الحرب الباردة لم تكن الدعاية السوفيتية تهاجم الامريكيين بالعنف الذى تهاجمهم به دعاية بكين . ويرفض الصينيون كذلك مصافحة الامريكيين عندما يتقابلون مصادفة على أرض محايدة .

والطلبة الصينيون فى جامعة موسكو أو ليننجراد يتجنبون الطلبة الامريكيين ويرفضون محادثتهم أو التعاون معهم .

اما طلبة كوريا الشمالية فيقولون للامريكيين : « اننا لسنا صينيين ويسرنا أن نكون أصدقاء » .

وموقف الشخص الصينى يشبه الى حد كبير موقف الشخص الذى تكون بلاده فى حالة حرب : فالصين الشيوعية هى التى وجهت تهديدات عسكرية الى الجزر الساحلية التابعة لفرموزا وهى التى أيضا تضغط على الجنوب الشرقى من آسيا .

وكثيرا ماعرضت الصين الشيوعية السلام العالمى للخطر عندما قامت بأعمال عدوانية على الدول المجاورة لها او التى تحت مناطق النفوذ الصينية : فمنذ عام واحد هددت الصين بغزو كيموى وماتسو ، واخذت تطلق النيران على هاتين الجزيرتين . ومازال الموقف فى هذه المنطقة ينذر بالخطر ، وبعد ذلك سحق الجيش الصينى الثورة التى قامت فى التبت ومنذ وقت قريب بدأت الصين تهدد لاوس كما انتهكت القوات الصينية حدود الهند .

وقد قال أحد الدبلوماسيين المحايدين فى بكين : « يبدو أن الزعماء الصينيين يريدون أن يشعروا الشعب بأن له إعداء كثيرين حتى يعمل بجد ويضاعف الانتاج »

وليست هناك اية علامة تدل على أن هــذا الموقف سوف يتغير . وقد وجهت الدعوة الى آلاف من الاجانب لحضـــور الاحتفالات التى ستقام فى الشهر القادم فى بكين بمناسبة الذكرى العاشرة لقيام الصين الشيوعية . ولن يكون هنـــاك كثير من الامريكيين .

وقد وضع برنامج لتدريب ١٠٠٠ مترجم لمساعدة الضيوف الاجانب و ٧٠ فقط من هؤلاء المترجمين متخصصون فى اللغة الانجليزية .

ويتحدث احد المراقبين الاجانب عن العــلاقات الصينية الامريكية بعد أن أمضى عدة سنوات فى الصين واجرى اتصالات مع الزعماء الصينيين فيقول :

« تختلف الاحاديث عن اقامة علاقات ودية بين الصين وامريكا لدرجة أن أى اتفاق حقيقى بين البلدين لا يمكن أن يتم قبل ٢٠ سنة على الاقل : فالصين لاتفكر فى اقامة علاقات طبيعية مع أمريكا الا اذا استردت فرموزا وانا أشك فى ان بكين ســـوف تتبادل العلاقات الدبلوماسية مع امريكا قبل أن يحدث هذا . ولذلك فأنا أعتقد أن الصين قد تركت التفكير فى الولايات المتحدة فى الوقت الحاضر » ويضيف المراسل قائلا :

« واعتقد أن الصينيين يفتخرون بأنهم شيوعيون وأنهـم شاهدوا امبراطوريات تظهر وتنهـــار ، وهم يؤمنون بأن أيام الراسمالية الغربية اصبحت معدودة وبأن الولايات المتحـــدة بقواعدها المنتشرة فى جميع انحـــاء العالم سوف يزول مجدها ودولتها . واعتقد انهم استطاعوا ان ينتظروا عدة قرون ويمكنهم ان ينتظروا عشرين سنة اخرى دون حاجة الى أمريكا وخاصـــة عندما يجدون دولا اخرى يعاملونها .

« وربما استطعت أن تشاهد وفود أمريكا اللاتينية هـــذا الصيف ــ نساء وشبابا ووفودا برلمانية وسياسيين راسماليين ــ

ارادوا أن يروا كيف استطاعت الصين ان تصبح دولة صناعية دون أن تعتمد على الولايات المتحدة » . ؟

ومما تجدر الاشارة اليه أن مستر خروشوف يريد ازالة التوتر القائم بين الصين وامريكا : فقد أعرب عن أمله فى أن يؤدى تحسين العلاقات بين روسيا والولايات المتحدة الى تحسين العلاقات بين صديقات روسيا والولايات المتحدة أيضا .

والآن هل يمكن أن تكون الخلافات بين الصين والاتحاد السوفيتى خلافات وهمية ؟ وهل تستطيع الدولتان أن تعملا فى اتجاهين مختلفين من أجل مصالحهما المشتركة ؟

هذا ممكن .. ولكن التصريحات الخاصة التى يدلى بها بعض المسئولين فى الاتحاد السوفيتى تجعلنا نشك فى هذا الامر. فكثير من الروس ــ وخاصة الذين زاروا الصين الشيوعية أخيرا ــ يتحدثون فى دهشة عن سرعة التطور الصناعى فى الصين .

فقد قال أحد كبار المسئولين السوفييت : « انك لاتستطيع ان تصدق هذا حتى ترى بعينيك .. انك سترى هناك السرعة والنظام والقوة الموجهة .. ان الصينيين يقومون بعمل ضخم . وكل فرد يعرف أن كل ما تفعله روسيا لا يساوى شيئا بجانب ما نراه فى الصين » .

وقال روسى آخر يحث الامريكيين على الذهاب الى الصين: « انها عالم آخر ويجب أن تعرفوا ماذا يحدث هناك . فاذا أردتم أن تفهموا العالم اليوم فيجب عليكم أن تشاهدوا الصين » .

وقال آخر « ان التطور فى الصين يسير بسرعة مذهلة .. وعندما تفكرون فى مستقبل العالم يجب أن تأخذوا فى اعتباركم التقدم الذى أحرزته هذه الدولة » .

والاختلاف الواضح بين الاتحاد السوفيتى والصين يتعلق بنظام القرى الجماعية الصينية . ويتجنب المتحدثون السوفييت مناقشة هذا النظام . كذلك لم يتعرض مستر خروشوف لمسألة الصين فى خمسة أحاديث متوالية أدلى بها فى الشهور الاخيرة .

ولكن خروشوف عقب بنفسه على موضوع القرى الجماعية

فى اثناء رحلته فى بولندا : فقد القى خطابا حاول أن يقنع فيه الفلاحين البولنديين بتفوق المزارع الجماعية على المزارع الفردية. وضرب مثلا على ذلك بنظام القرى الجماعية فى الصين .

وقال : ان نظام القرى الجماعية قد أدخل فى روسيا بعد الثورة البلشفية وأضاف ان هذا النظام كان يفتقر الى الاموال والاوضاع السياسية الملائمة . وكانت النتيجة فشل نظام القرى الجماعية فى روسيا .

وألغى الحزب الشيوعى هذا النظام ووجه اهتمامه الى المزارع التعاونية التى أصبحت نواة لنظام المزارع الجماعيةالسائد فى الاتحاد السوفيتى اليوم .

والقرى الجماعية عبارة عن مجتمعات شيوعية بدائيةيوزع فيها العمل بالتساوى على الافراد وليست هناك ملكية فردية أو ملكية خاصة . أما فى المزارع الجماعية فللافراد الحق فى أن تكون لهم ملكيات خاصة . ويوزع دخل المزرعة على اساس العمل الذى يؤديه كل فرد .

ومستر خروشوف لم يعترض فقط على نظام القرى الجماعية ، وانما رفض أيضا فكرة استخدام القوة أو الضغط لارغام الفلاحين على ترك المزارع الفردية .

وهكذا، ودون أن يذكر اسم الصين، أظهر مستر خروشوف اعتراضه على نظام من أهم النظم السائدة فى الصين الشيوعية .. وبهذه الطريقة أعرب خروشوف عن رأيه فى هذا النظام وهو رأى معظم الزعماء السوفييت .

وانتقد مستر خروشوف بطريق غير مباشر احد النظم السائدة فى الصين الشيوعية . وهذا النظام هو تهيئة آلاف العمال فى المدن وارسالهم الى القرى للقيام ببعض الاعمال الزراعية مثل الحرث والرى وجمع المحصولات ويستخدم هذا النظام أحيانا فى الاتحاد السوفيتى .

وقد طالب الزعيم الروسى بعدم تطبيق هذا النظام : وقال : « ان موظفى المدن وعمال المصانع وطلبة المدارس لا يصلحون للاعمال الزراعية ، وارسالهم الى القرى يسبب أضرارا للمدينة كما انه لا يخدم المناطق الزراعية » .

وقال : « ان المطلوب هو رفع المستوى الفنى للفلاحين وتدريبهم على الآلات الزراعية واتباع الاساليب الحديثة . وتتخذ القرى الجماعية فى الصين مظهرا لم نشاهد له مثيلا فى الاتحاد السوفيتى وهذا المظهر يتلخص فى تقسيم الصين الشيوعية الى آلاف من الوحدات الاجتماعية المستقلة » .

وقال مراقب بريطانى لاصدقائه فى موسكو بعد عودته من رحلة الى الصين « هذه الوحدات الاجتماعية لها اهمية كبيرة — فقد قال لى الصينيون أنه اذا قامت حرب نووية فان معظم العالم سوف يفنى ، ولكن الصين لن تتأثر بهذه الحرب . فلو فرضنا أن ٢٠٠ مليون أو ٣٠٠ مليون صينى سوف يروحون ضحية هذه الحرب فان الصين لن تعانى من هذه الخسائر وقد تزول ولايات صينية باكملها ولكن القرى الاخرى سوف تستطيع البقاء لان كل قرية مستقلة تماما عن الاخرى » .

ومثل هذه الفلسفة غريبة على التفكير السوفييتى .. فيقول المسئولون السوفييت صراحة : انه اذا قامت حرب نووية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى فانها ستقضى على كل شىء سواء من الجانب الروسى او من الجانب الامريكى .

والاختلاف فى العوامل النفسية بين روسيا والصين يبدو اكثر وضوحا بين الطلبة . وهناك أمثلة كثيرة على ذلك : فقدكان أحد الطلبة الصينيين يدرس فى جامعة موسكو . وفى الربيع الماضى قرر هذا الطالب أن يقتصد من مرتبه الشهرى الذى تصرفه له الصين ويبلغ ٣٠٠ روبيل لكى يشترى آلة تصوير روسية فكان يذهب الى الجامعة على قدميه ولا يتناول طعام الافطار حتى أستطاع أن يوفر المال اللازم لشراء الكاميرا

ولكن زملاءه علموا بما كان يفعله وقرروا تكوين « محكمة » فيما بينهم واستدعوه للتحقيق معه :.

وقال « المدعى » لقد حرمت جسمك وعقلك الغذاء الذى يعينك على مواصلة دراستك بتفوق .. وحتى اذا كنت تستطيع مواصلة دراستك بالدرجة المطلوبة ودون أن تتناول الغذاء الكافى فيجب عليك ان ترد المبلغ الزائد الى الدولة .

ووافق الطالب الصينى على ان يبيع الكاميرا ويرد ثمنها الى الحكومة الصينية ويغذى عقله وجسمه كما ينبغى ويعمل بجسد واجتهاد اكثر من أى وقت مضى لكى يستحق الاموال التى تنفقها الدولة على تعليمه ٠

هل تتصور هذا ؟ وماذا تستطيع ان تفعل مع شعب مثل هذا ؟ انهم ليسوا بشرا ٠

هذه الامثله والمواقف تصور لنا الاختلافات الثقافية بين الشعب الروسى والشعب الصينى ٠ على طول الحدود بين هاتين الدولتين فهناك صراع حقيقى ومناقشة شديدة ٠

فقد شاهدت اشتباكا سافرا بين الصين والاتحاد السوفيتى من اجل السيطرة على منغوليا الخارجية وهى دوله اسيوية متأخرة ظلت فترة طويلة ضمن مناطق النفوذ السوفيتية ٠

والصينيون يحاولون التودد الى الشعب المنغولى عن طريق تقديم المساعدات واكتساب عطف الطبقة المثقفة فى هذه الدولة ٠

والروس يحاولون الاحتفاظ بمركزهم فى منغوليا عن طريق برامج المعونة التقليدية ووضع الخطط لتحويل هذه الدولة من بلاد للرعى الى دولة زراعية

والصين لديها أيد عاملة متوافرة فى منشوريا وفى الشمال ٠ ومنغوليا الخارجية محدودة السكان كما ان شعبها تنقصه الخبرة والدراية فى المشروعات الصناعية وحتى فى المشروعات الانشائية البسيطة ٠

وقد ارسل آلاف من العمال الصينيين المهرة الى منغوليا الخارجية ومن المنتظر ان يصل عدد آخر مع ان السلطات المنغولية تخشى وقوع دولتهم المتأخرة تحت سيطرة جارتهم الصينية المتقدمة ٠

ويتحدث الدبلوماسيون الاسيويون عن ازدياد المنافسة بين روسيا والصين وخاصة الجنوب الشرقى من آسيا ٠

وتتطلع الصين الى تقوية نفوذها فى منطقتين خارج نطاق

آسيا : المنطقة الأولى هى أمريكا اللاتينية . ومعروف أن الصين الشيوعية ليست لها علاقات دبلوماسية مع أية دولة غربية ، ولكنها وضعت برنامجا ضخما لتقوية العلاقات التجارية والثقافية مع دول امريكا اللاتينية .

أما المنطقة الاخرى فهى افريقية . وقال احد الدبلوماسيين المقيمين فى بكين : « هذه الحملات التى تقوم بها الصين لتقوية نفوذها الدولى مستقلة عن سياسة روسيا : فالصينيون يريدون تقوية مركزهم الدولى واقامة علاقات دولية بانفسهم دون الاعتماد على موسكو » .

ويقول هذا الدبلوماسى : « انه اذا استطاعت الصين أن تدخل الامم المتحدة فانها ستنتزعم الكتلة الاسيوية الافريقية » .

وفى مثل هذه الظروف هل يساعد الاتحاد السوفيتى الصين الشيوعيه على امتلاك الاسلحة النووية ؟ ان هذا محتمل . ولكن ليس هناك أى دليل يؤكده .

والواقع أنه ليس هناك أية دلائل تثبت ان الاتحاد السوفيتى يساعد الصين على استخدام الذرة حتى فى الاغراض السلمية .

وعدم توافر الدليل لايعنى بالضرورة ان روسيا لاتطلع الصين على اسرار الذرة : فقد يكون هناك تعاون بين الدولتين فى هذا المجال ولكنه محوط بالسرية التامة .. ومن المحتمل ان تتلقى القوات المسلحة الصينية تدريبات على الصواريخ العابرة للقارات التى تحمل رءوسا ذرية . ولكن جميع المعلومات لاتؤيد ذلك .

فكل المعلومات التى لدينا عن طبيعة العلاقات بين روسيا والصين توحى بأن الصينيين سوف يعتمدون على انفسهم فى انتاج الاسلحة الذرية .

والسياسة السوفيتية الخارجية تسير فى اتجاهين : الاتجاه الاول هو سياسة السيطرة المتبعة فى الوقت الحاضر ، والاتجاه

الآخر هو اتجاه احتياطي ستلجأ اليه روسيا وقت الضرورة ٠

وسياسة السيطرة السوفيتية تقوم على أساس التحالف بين روسيا والصين وتوثيق التعاون الاقتصادى والدبلوماسى ٠

وفى حالة نشوب صراع بين موسكو وبكين فان الاتحـــاد السوفيتى ليس أمامه فى الوقت الحاضر أى مجال للاختيار ٠ فلا يستطيع ان يتحول الى الغرب أو يهدد الصين بذلك ، لانه ليس هناك طريق ممهد لعودة العلاقات الطبيعية بين الاتحاد السـوفيتى والولايات المتحدة ٠

واذا لم يمهد مثل هذا الطريق قبل ان تزود الصين نفسها بالاسلحة الذرية فان الاتحاد السوفيتى سيصبح العضو الاصغر فى المحور الشيوعى ـ فعدد سكان الصين وتقدمها الصنـاعى وحصولها على الاسلحة الذرية وسرعة تطورها ـ كل هذا ستجعلها تتفوق على روسيا ٠

ومستر خروشوف لاعب شطرنج ماهر ، ويستطيع ان يتكهن بهذا دون صعوبة ولكن كل هذا لايعنى ان مستر خروشوف سوف يصل حتما الى تفاهم مع الولايات المتحدة فى الاعوام القادمة ٠

غير ان الوضع الحقيقى داخل العالم الشيوعى بصرف النظر عما يبدو فى الظاهر يؤكد حاجة السوفييت الى التعاون مع الغرب ٠

وقد وعد مستر خروشوف شعبه بأشياء كثيرة ٠ فوعـده برفع مستوى معيشته فى المستقبل حتى يصل الى مستوى المعيشة فى الولايات المتحدة والى جانب التزاماته بابعاد شبح الحرب عن الشعب السوفيتى نجد ان أهم الوعود بالنسبة له ولشعبه هو تحقيق الرخاء وضمان مستوى معيشة أفضل لا يقل عن المستوى الامريكى ٠

لقد ظل الشعب السوفيتى أجيالا طويلة يعيش على الوعود ولكن الآن ولاول مرة يرى السوفييت ان هناك املا فى تحقيق هذه الوعود ٠

اما آمال خروشوف فليس لها حدود : فقد قال لبعض الزوار

الامريكيين « أن ما أعنيه بالمنافسة السلمية هو اننا سنتغلب عليكم في لعبتكم : فسوف نتفوق عليكم في انتاج البضائع الاستهلاكية وسوف نوفر لشعبنا حياة أفضل من الحياة فى بلادكم . وعندما يرى العمال في العالم كيف يعيش الشعب السوفيتي منعما فى ظل الشيوعية فانهم سينضمون الى جانبنا دون حاجة الى اقناع ودون ارغامهم على ذلك » .

وهذا لا يعني ان مستوى المعيشة في روسيا لم يرتفع بدرجة ملحوظة فى عهد خروشوف ، ولا يعنى أيضا ان هذا المستوى لن يرتفع عن هذا الحد وأى زائر يعود الى الاتحاد السوفيتي بعد غيبة امتدت خمس سنوات سيرى مدى هذا التحسن الذى طرأ على الدولة .

فسوف يصل الى روسيا على طائرة سوفيتية حديثة مزودة بكل وسائل الراحة . وسيرى تطورات تدعو الى الدهشة : ففى السنوات الخمس الماضية تم تعمير منطقة واسعة ، فبنيت منازل عدة لا تقل عن ثماني طبقات . وتضم هذه المنطقة الآن بعد تعميرها مايقرب من ٢٠٠٫٠٠٠ شخص .

وحركة المرور هى أيضا من المظاهر التى تثير الدهشة : فموسكو لديها جميع الامكانيات التى تجعل من حركة المرور مشكلة من الدرجة الاولى : فهناك عدد كاف من سيارات الركاب وعدد ضخم من سيارات النقل . والمنازل الجديدة ليست واسعة وانما مصممة على الطراز الحديث : فهي مزودة بمطابخ وحمامات خاصة ومعظم السكان يستخدمون ثلاجات كهربية صغيرة . وهذه المنازل تعتبر نعمة اذا ما قورنت بمنازل موسكو الجماعية : فالمنزل الجماعي تسكنه ثماني عائلات ـ كل عائلة في حجرة ـ وليس به سوى مطبخ واحد وحمام واحد .

وبناء هذه المنازل الجديدة قد اتاح لكثير من العائلات في موسكو فرصة للحصول على منزل مستقل لا يشاركها فيه أحد . وتستطيع كل عائلة ان تستخدم المطبخ والحمام الخاصين بها دون نزاع مع باقي السكان .

ويمكن أن يقال هذا على كثير من المشروعات التى ادخلها مستر خروشوف فى الاتحاد السوفيتى للنهوض بمستوى معيشة الشعب الروسى .

وازدحام المرور فى شوارع موسكو يسر الرجل الروسى العادى : فهو لايهتم بحوادث التصادم التى تقع فى الشوارع ويروح ضحيتها كثير من الفلاحين بسبب الجهل بنظام المرور مما جعل موسكو تسجل أعلى نسبة فى حوادث التصادم فى العالم .

وأصبح الروس يفخر بالمطاعم الجديدة التى ظهرت فى موسكو وبالخدمة الممتازة التى يلاقيها هناك والتى لم يشهد مثلها من قبل . وتفضل زوجة الروسى أن تشترى الخضروات بنفسها كما تشترى الفواكه المحفوظة التى أصبحت متوافرة فى كل مكان . ويتمتع سكان المدن الصغيرة والقرى بحياة أفضل فلديهم أموال موفورة ويذهبون فى كثير من الاحيان الى موسكو لكى يشتروا ما يلزمهم من هناك . وفى موسكو سوق ضخمة تضم مختلف البضائع والمتاجر والمخازن ، والدراجات لاتعد نادرة بين الأطفال فكل أم تشترى لطفلها دراجة صغيرة يلهو بها . أما الكبار فيستخدمون الدراجات البخارية .

كل هذا فى الواقع يدل على أن مستوى المعيشة فى روسيا ليس منخفضا ولكن خروشوف يعمل على تحقيق مستوى معيشة أفضل فى المستقبل : فهو يبذل كل ما فى وسعه لتشجيع انتاج الاغذية والهدف الذى وضعه لنفسه هو أن يكون الروسى فى عام ١٩٦٥ قد وصل الى نسبة استهلاك الفرد من اللحوم واللبن والزبد فى الولايات المتحدة نفسها .

وقد ينجح خروشوف فى الوصول الى هذا الهدف فى وقت أسرع مما كان يتصور مولوتوف أو مالينكوف . والى جانب هذا فانه يضع الاساس لفترات أخرى الى الامام تعتمد على التقدم العلمى والفنى والطاقة الكهربية ، ويريد خروشوف وضع برنامج التصنيع سيبيريا .

وقد بنيت « مدينة علمية » ضخمة بها منازل للعلماء مجاورة

لمراكز ابحاثهم • والى جانب هـذه المنازل أقيمت محطات لتوليد الكهربا من مساقط نهر الاوب ونهر انجارا • وعن طريق العلوم والطاقة الكهربية ستظهر صناعات جديدة ضخمة .

والمراكز الصناعية العلمية الجديدة قد صممت بطريقة تسمح للصناعة السوفيتية بأن ترفع القدرة الانتاجيـــة الى نسبة تمكن مستر خروشوف من أن يفى بوعده ويلحق بالولايات المتحدة • وفى مدن سيبيريا تستطيع أن تسمع أزيز الطائرات طوال النهار، انها طائرات النقل النفاثة طراز تى ـ ١٠٤ التى تربط بين أطراف الاتحاد السوفيتى وتربط بين روسيا والعالم الخارجى •

ويبدو واضحا من التقدم الذى احرزه الاتحاد السوفيتى فى السنوات الخمس الماضية ومن التطور الذى يرسمه فى السنوات العشر القادمة ان الحياة فى هذه الدولة سوف تتحسن بدرجة لم يشهد لها الروس مثيلا من قبل •

ولكن التقدم الـــذى حققته روسيا فى الوقت الحـاضر والمشروعات التى ترسمها للمستقبل لاتوحى بأن الحياة السوفيتية سوف تصل الى مستوى الحياة فى الولايات المتحدة أو قريب منه •

ولنأخذ احدى الحقائق التى تؤيد هذا : ان الولايات المتحدة تعيش فى عصر السيارات : فالمدارس والمنازل والوظائف ووسائل التسلية والرحلات حتى الكنائس تعتمـد على السيارات الخاصة • فهل يريد خروشوف أن يصل الى هذا المستوى من الحياة ؟ اننى لا أعتقد ان هذا سيحدث فى عهده على الاقل •

ان موسكو فى الوقت الحاضر تعانى من أزمة المرور ، كما ان نسبة الحوادث مرتفعة فى العاصمة السوفيتيــة على الرغم من الاختبارات الدقيقة التى يمر بها الســائقون وعلى الرغم من توافر بوليس المرور ، تحاول الحكومة الروسية التغلب على هذه الحوادث عن طريق بناء انفاق تحت الارض لتجنيب المشاة عبور الشوارع المزدحمة ولكن الاتحاد السوفيتى ينتج سنويا ١٫٠٠٠٫٠٠٠ سيارة يباع منها للجمهور ٥٠٫٠٠٠ سيارة •

وفى العامين الماضيين لم تنشىء روسيا كثيرا من الطرق الرئيسية وهناك طرق متوسطة تربط بين بريست ـ موسكو ، ولينينجراد ـ موسكو ، وموسكو ـ خاركوف ، وموسكو ـ جوركى، وبعض الطرق الأخرى •

ان الاتحاد السوفيتى لم يصل بعد الى عصر السيارات • كذلك لم تضع لجنة التخطيط الروسية أية مشروعات لادخال الاتحاد السوفيتى فى عصر السيارات . وقد يفضل كثير من الشعب الا يعيش فى عصر السيارات • ولكن اذا كان الاتحاد السوفيتى سيتنافس هو والولايات المتحدة فيجب أن يتفوق عليها فى المجالات كافة •

وقال شاب روسى : « لا شك أن صحافتنا لا تذكر سوى المساوىء الموجودة فى الحياة الامريكية ولكننا نفاجأ عندما نسمع عن الاكواخ والبطالة فى أمريكا ثم نعرف ان هذه الدولة تتمتع بأعلى مستوى معيشة فى العالم ونعرف أيضا ان أمريكا متفوقة فى الانتاج ولذلك لن يصعب عليها أن تتخلص من الاكواخ ومن الفقر » •

ولا شك فى أن السيارات والقدرة الانتاجية لنظام الصناعة الامريكية قد أدى الى سرعة تقدم الولايات المتحدة وانتقال الحياة الى جميع أجزائها فقد بدأ الامريكيون يسكنون الضواحى بعيدا عن المدن المزدحمة ولكن هل نجد مثل هذا فى الاتحاد السوفيتى ؟•

هناك قرية اسمها « سالتيكوفكا » تستغرق المسافة بينها وبين موسكو ٣٥ دقيقة بالديزل وكانت « سالتيكوفكا » الى وقت قريب قرية زراعية تملكها عائلة أحد التجار الاغنياء وفى نهاية القرن التاسع عشر أصبحت هذه القرية مصيفا يذهب اليه الآن كثير من الروس فى فصل الصيف • ويبلغ عدد سكان هذه القرية مابين ٧٠٠٠ و ٨٠٠٠ شخص وثلث شباب هذه القرية يعمل فى موسكو أما الباقون فيشتغلون بالزراعة أو يقومون ببعض الأعمال اليدوية أو يعملون فى مصانع النسيج فى احدى المدن المجاورة .

ومنازل هذه القرية عبارة عن أكواخ خشبية صغيرة تضم عادة

ثلاث حجرات فى الطابق الاول وحجرة واحدة فى الطابق الثانى ويستخدم الموقد العادى فى تدفئة هذه الحجرات . وليس فى هذه القرية حمامات للسباحة أو نواد أو ملاعب للتنس كذلك ليس بها سوق دائمة ولكن يتجمع أهل القرية أحيانا فى مكان متسع ويحملون معهم بضائع مختلفة لبيعها .

وفى السنوات الخمس الماضية طرأت على قرية « سالتيكوفكا » بعض التغييرات فقد بنى عدد من السكان مساكن جديدة بأنفسهم وبمساعدة أحد النجارين . وبنيت مدرسة جديدة وأصبحت آلات التصوير والاسطوانات تباع فى المحال العامة ومطعم هذه القرية لم يعد يبيع الفودكا وانما يبيع البيرة بدلا منها .

وأهم التغييرات التى حدثت فى هذه القرية هى استغلال كل شبر من أراضيها فى الزراعة فتجد الحدائق فى كل مكان وتجد الاشجار المختلفة هنا وهناك ومنذ خمس سنوات كانت البطاطس هى المحصول الاول فى هذه القرية ومازال محتفظة بمركزها ولكن يهتم السكان بغرس أشجار التفاح ، وانواع أخرى من الفواكه .

وسكان هذه القرية يعيشون فى سعادة ولكن نادراما تجد سيارة هناك ومعظم المنازل تضاء بالكهرباء ، ولكن ضوء المصباح الكهربى لا يزيد كثيرا عن ضوء الشمعة أو المصباح الذى يعمل بالكيروسين . ومع هذا فلو سألت مائة روسى فى موسكو - هل يفضلون تمضية عام فى هذه القرية ؟ فان ٩٥٪ على الاقل سوف يرحبون بذلك .

وعندما تحلق طائرة روسية طراز تى - ١٠٤ فى سماء موسكو فى يوم من أيام الصيف المشرقة فانك تشاهد منظرا بديعا : فسترى من الجو قباب الكرملين ومبانى جامعة موسكو الضخمة . وسترى أيضا ناطحات السحاب السبع فى موسكو بابراجها الشامخة فى السماء وحدائقها الواسعة وسترى أيضا نهر موسكو بمياهه الفضية وهو ينساب وسط المدينة وبجواره الكرملين . وتستطيع أن ترى حركة المرور فى الشوارع الواسعة والمساكن الجديدة الضخمة التى انجزت ضمن مشروعات الاعمار ، والتى بالقرب من الجامعة وعلى طول شارع لينينجراد .

وبدأت موسكو تفقد طابعها الزراعي الذي كان يميزها عن مدينة سانت بطرسبرج عاصمة الامبراطورية الروسية في الماضي .

وفي الحقيقة يستطيع مستر خروشوف أن يخلق من الاتحاد السوفيتي جنة في الارض تجذب شعوب العالم وتبهرها بما تحتويه ولكن هل سيتحقق هــذا الرجاء اليوم أو غدا ؟ يبدو أن الامل ضعيف في أن يحقق مستر خروشوف ـ في فترة قصيرة ـ ذلك الهدف الذي رسمه لنفسه وهو اللحاق بالولايات المتحدة في جميع الميادين وتوفير حياة منعمة للشعب السوفيتي . ان أمريكا ستظل لفترة طويلة المقياس الذي يقيس به الروس مدى تقدمهم .

وحياة مستر خروشوف في السنوات التي أعقبت موت ستالين تتميز بخبرات واسعة وتجارب كثيرة . ومثال ذلك اعترافه بفضل ستالين أمام المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي . فلم يكن من عادته أن يتمسك بآراء ومبادىء بالية . ومستر خروشوف بطبيعة الحال لا يتصرف بمحض اختيــاره : فسياستــه يجب أن تشكل تحت ضغط النظام السوفيتي والظروف التي تحدد علاقات هذا النظام بالعالم الخارجي .

كذلك نلاحظ أن جميع العوامل التي ترسم خطوط الموقف الحالي ليست جديدة . فمستر خروشوف لديه أفكار محدودة عن مستقبل العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا . فقد صرح في عدة مناسبات أن كل ما يريده هو عالم مقسم بين دولتين تديره الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وتحدث في هــذا الصدد مع أدلاى ستيفنسن والسناتور هيوبرت همفرى ، ومستر ريتشارد نيكسون .

ويقول خروشوف : انه اذا وافق الرئيس الامريكي على هذا المشروع ودخلت روسيا والولايات المتحدة في تحالف مشترك فان السلام العالمي سوف يستقر ولن يجرؤ أحد على تحــدى هــذا التحالف القوى .

يقول خروشوف : « لنضع أيدينا في أيديكم على هذا الاتفاق ولنبدأ مرحلة جديدة من التنافس السلمي وسوف نرى اى النظامين

يستطيع ان يحقق حياة أفضل : الشيوعية أو الرأسمالية ؟ » .

وكلمات مستر خروشوف تدعو الى الاعجاب وفكرته تبدو جذابة اذا أنها تضمن حماية السلام العالمى • ولـــكن خرشوف يعرف جيدا أن الطريق الى عالم تقتسمه دولتان ليس بسيطا كما انه ليس سهلا . فمثلا ما الدور الذى ستؤديه الحليفتان فى مثل هذا العالم ؟

ويجدر بنا أن نوضح فى هذا المجال أن الولايات المتحدة لم تعترف قط انها توافق على فكرة تقسيم العـــالم بين دولتين أو الاشتراك مع الاتحاد السوفيتى فى ادارة شئون العـــالم • وفكرة العالم الذى تحكمه دولتان ليست من وحى مستر خروشوف ولكنه أخذها عن ستالين : فقد تحدث الديكتاتور الراحل فى هذا الموضوع كثيرا مع الرئيس الامريكى الاسبق فرانكلين روزفلت •

وكانت فكرة ستالين هى أن تأخذ روسيا والولايات المتحدة خريطة وتقسما العالم فيما بينهما وتتولى كل دولة منهما مسئولية المحافظة على السلام والنظام داخل منطقة نفوذها ولن تتدخل اية واحدة منهما فى شئون المنطقة الاخرى • والنزاع الذى قد ينشب بسبب الحدود الجغرافية يمكن تسويته عن طريق اتفـــاق مشترك بين « الدولتين الكبيرتين » •

ومستر خروشوف ـ مثل جميـــع الزعماء السوفييت ـ ظل ولكنها تتخذ الهيكل العام نفسه • فكل دولة سوف تعترف بمصالح الدولة الاخرى فى مناطق معينة وهذا يعنى اعتراف أمريكا بالوضع الشيوعى الحالى فى أوربا الشرقية ، ويعنى أيضـــا اعتراف روسيا بالوضع القائم فى غربى أوربا وفى مناطق النفوذ الغربية وستتولى كل من « الدولتين الكبيرتين » القضاء على الاضطرابات التى تنشأ فى مناطق نفوذها ومنع الدول الصغرى من تهديد السلام •

وهذا النظام بطبيعة الحال سيؤدى الى زوال حلف شـــمال الاطلنطى وهو الهدف رقم واحد ـ الذى تسعى السياسة الخارجية السوفيتية الى تحقيقه منذ زمن طويل •

وفى الوقت نفسه سيقضى هذا النظام على التحالف السوفيتى الصينى والتحالف الروسى الامريكى سيجعل السلام يرفرف على ربوع العالم • وسوف يبحث على مائدة المؤتمر السوفيتى الامريكى كثير من المشكلات الهامة مثل مصير الحركات القومية التى تظهر فى آسيا • ومستقبل الدول الجديدة فى الشرق الاوسط والدول غير المستقلة فى أفريقية ، أما الاسم المتحدة فنسيصبح دورها ثانويا بالنسبة للقرارات التى تتخذها الدولتان الكبيرتان » •

واذا ذكرنا النتائج التى سوف تترتب على مثل هذا التعاون السوفيتى الامريكى فاننا سنوضح اعتراضات الجانب الامريكى التى لا يمكن التغلب عليها فلا يمكننا ان نتوقع من الولايات المتحدة أن تنتهج سياسة تجعلها تتخلى عن التزاماتها تجاه الامم المتحدة.

ومثل هذا النظام الذى يدعو اليه خروشوف يمكن أن يتحقق اذا تحدثت «الدولتان الكبيرتان» بلغة واحدة واذا حددتا شروطهما واتجاهاتهما واذا فهمت كل منهما آراء الاخرى وأهدافها بالطريقة نفسها • وبمعنى آخر سوف تتطلب الخطوات الاولية ازالة المغالطات وسوء التفاهم والاكاذيب والاباطيل التى أصبحت تشوه العلاقات السوفيتية الامريكية •

والمصدر الرئيسى لهذا التشويه هو جهـاز الدعاية الذى يستخدمه الاتحاد السوفيتى : الصحف والمجلات والمعلقون السياسيون الذين كانوا يفسرون الاحداث على ضوء كتاب « الرأسمالية » الذى وضعه كارل ماركس بدلا من أن ـ يحاولوا تقديم صورة واضحة للتاريخ المعاصر •

ومستر خروشوف لم يفصح عن آرائه بمثل هذه الصراحة • فترة طويلة ينظر الى الولايات المتحدة من خلال منظار «البرافدا» صحيفة الحزب الشيوعى السوفييتى ، أو المراقبين الرسميين المعروفين بتحيزهم الى هذه الصحيفة •

وقد صرح مسئول سوفيتى زار الولايات المتحدة أخيرا بأن الدعاية السوفيتية والتقارير المحرفة قد شوهت فكرته عن امريكا وقال :

ان اثارة هـــذه الانباء والتقارير التى ينقلهـــا المراسلون والدبلوماسيون قد أدت الى نتائج خطيرة . واذا كانت هذه التقارير المشوهة قد أثرت فى كبار المسئـــولين فان آثارها على الشعب السوفييتى أكثر خطرا .

فالشعب السوفيتي يعتمد اعتمادا كليـــا على الصحافة والراديو اللذين تسيطر عليهما الحكومة سيطرة تامة فى الحصول على معلومات من العالم الخارجى ولكن هذه المصادر المحلية قـد خلقت مناطق واسعة من الجهل بحقائق الحيـــاة فى العالم الحر . ومع هذا فان آثار الدعاية المركزة لاتناسب بالضرورة هوى القائمين عليها .. فكثير من الروس قد سئموا هذه الأنباء المحرفة والتعليقات الزائفة وكفوا عن قراءة الصحف السوفيتية أو الاستماع الى راديو موسكو . وآخرون لا يصدقون البيـــانات السوفيتية ويعتقدون دائما انها بيانات كاذبة .

وسمعت أحد المحررين السوفييت يقول : لقد تغير كل شيء فى موسكو ما عدا « البرافدا » وقال كاتب سوفيتى معـروف انه امتنع عن الكتابة للصحف اليومية وقال :

« ان رجالها يطلبون منك أن تكتب لهم مقـــالا ، فتكتبه بأسلوبك الخاص وتصف موقفا معينا بطريقتك ، ولكن قبـل أن تنشر المقـــال يحاول رئيس التحرير ان يدخل عليــــه بعض «التحسينات» فيحذف عبارات ويضع بدلا منها عبارات من عنده . ونتيجة لهذه « التحسينات » لاتكاد تعرف المقال الذى كتبته بعـد ان ينشر فى الصحيفة » ..

ويبدو أن مستر خروشوف قد تبين هذه العيوب ولذلك فان كثيرا من الجهود تبذل الآن لجعل الصحافة السوفيتية مرآة صادقة للواقع فبدأ الصحفيون السوفييت يقلدون أســـلوب الصحافة الأمريكية ونادرا ما يغادر رجال الصحافة السوفييت مدينة موسكو الى المدن الروسية الأخرى .

وقد اتضح عند زيارة مستر نيكسون للاتحاد السوفيتى وكان برفقته عدد من الصحفيين الروس الذين اعترفوا له فى أثناء جولته

في سيبيريا ـ اعترفوا بأن هذه هي أول مرة يشاهدون فيها تلك المنطقة ٠

والمجهودات التي بذلت للخروج بالصحافة من العالم الروتيني الى عالم الواقع كانت لها نتائج كثيرة ٠٠ فمثلا بدأ مستر اليكس ادجوبي رئيس تحرير « ازفستيا » ينشر مقالات من الصحف الاجنبية عن الاتحاد السوفيتي ولكن المقالات الهجومية يحذف منها كثير من الفقرات ٠ وحتى الانتقاد الخفيف كان له رد فعل شديد بين المسئولين البيروقراطيين الذين تعودوا منذ زمن طويل قراءة عبارات المديح والثناء على الاتحاد السوفيتي وعلى النظام الشيوعي ٠

وقد نشرت صحيفة ازفستيا مقالا كتبه ماكس فرانكلن أحد الكتاب في صحيفة « نيويورك تايمز » وتحدث فيه عن سيبيريا في عهدها الجديد ٠ ولكن مستر فرانكلن اشار الى أن بعض الفنادق في سيبيريا لا تعنى بدورات المياه ٠ وعندما طالع المسئولون السوفيت هذا المقال ظلوا عدة أسابيع يقدمون الاحتجاجات الى المراسلين الاجانب بسبب هذا النقد الذي وجه الى مناطق سيبيريا ٠

وسواء كان وصف مستر فرانكلين صحيحا أو غير صحيح فانه لن يغير من الموقف شيئا . لأن المسئولين السوفييت قد ساءهم أن يتعرض الكاتب الأمريكي لذكر دورات المياه في مقاله ٠ وعندما قيل لهم أن مستر خروشوف قد وجه نقدا مماثلا الى فنادق سيبيريا ـ أجابوا : « هذا صحيح ولكنه لم يقصد من وراء ذلك الاساءة الى الاتحاد السوفيتي » ٠

وفي الحقيقة يعد مستر ادجوبي أول من أدخل الفن الواقعي الجديد في الصحافة السوفيتية .. فهو يصر على أن يكتب الصحفيون خارج نطاق الاحداث ، كما أنه يولي القراء أهمية كبيرة ٠٠ وخاصة الرسائل التي تتحدث عن الحياة من زاوية المصالح البشرية ٠

ومستر ادجوبي كان يرأس تحرير صحيفة «الشباب الشيوعي» قبل أن يتولى منصبه الجديد في صحيفة ازفستيا في الربيع الماضي ٠ وقد غرس في نفوس الصحفيين الذين يعملون معه روح التنافس ـ مع أن هذا ليس مألوفا في الصحافة السوفيتية ٠

ومستر خروشوف يريد انهاء الحرب الباردة ونحن لانستطيع أن نشك في هذا ، وهو يتحدث دائما عن الفوائد التى ستعود على البشرية من انهاء سباق التسلح ، ويشير الى عبء الضرائب الضخم في الولايات المتحدة والى الصعوبات التى يضعها انتاج الأسلحة فى طريق مشروعات تحسين مستوى المعيشة بين الشعب السوفيتى

ولم يحاول مستر خروشوف أن يخفى أمله فى أن العلاقات الطيبة مع الولايات المتحدة سوف تجعله يوجه أكبر اهتمام الى المشكلات الداخلية فهو يعرف جيدا أن الآلام التى خلقها ارهاب ستالين لم تختف بعد • ولكنه يؤمن ايمانا راسخا بأن النظام الاقتصادى والاجتماعى في روسيا سوف يثبت تفوقه على النظام الاقتصادى والاجتماعى فى الولايات المتحدة .

ومستر خروشوف يؤمن بالمبادىء الماركسية ولكنه ليس متعصبا كغيره وفكرة خروشوف عن القدرة الانتاجية للنظام الرأسمالى متأثرة بخبرته السابقة فى مناجم الفحم وبالآراء الماركسية التى انتشرت فى منتصف القرن التاسع عشر . ورحلته الى الولايات المتحدة سوف تتطلب منه أن يعيد النظر فى بعض آرائه الرئيسية المتعلقة بالنظامين الشيوعى والرأسمالى .

ولا شك أن ازالة الجمود بين روسيا وأمريكا وتبادل الزيارات والعلاقات الثقافية قد ترك آثارا واضحة داخل الاتحاد السوفيتى وافتتاح المعرض الاهلى الامريكى فى موسكو جعل اتباع مستر خروشوف يشنون حملة عنيفة ضد الآثار الطيبة التى تركها المعرض الامريكى فى نفوس السوفييت •

وقال أحد الاجانب الذين عاشوا فترة طويلة فى موسكو : «اذا حاولت أن تحسن علاقتك بالروس فان صحافة موسكو سوف تفسر هذا تفسيرا سيئا » •

فعندما يزول الضغط وعندما يحس الروسى العادى بانه لم يعد يخشى الحرب أو تهديد الرأسمالية فان مطالبه سوف تتعدد • فهو يريد أن تصبح حياته مماثلة للحياة في الولايات المتحدة • فالدوافع التى ظل النظام الشيوعى يستخدمها لفترة طويلة كانت تتمثل فى

التهديد الخارجي • فبعد زوال التهديد ومطالبة الشعب بمعيشة أفضل ماذا سيحدث للنظام الشيوعي •

وقد أصبح واضحا أن الاختلافات أخذت تختفي تدريجيا في منطقتين للصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي •• واذا كانت لدى خروشوف رغبة في الوصول الى الاتفاق فان الموقف السوفيتي والامريكي تجاه مشكلة نزع السلاح والاشراف على الأسلحة الذرية سيكون أكثر تقاربا •

والمشكلة الالمانية تعتبر أكثر تعقيدا مع أن خروشوف يصر على أنه ليس هناك شخص واحد في الشرق أو في الغرب يريد فعلا اعادة توحيد ألمانيا • وهذا يترك مشكلة برلين لغزا غامضا •

ويعتقد كثير من الدبلوماسيين أن مستر خروشوف لن يصل الى أي اتفاق بشأن برلين ولكن الامور كلها نسبية • واذا استطاع خروشوف أن يقلل من سرعة سباق التسلح ، واذا استطاع أن يحرر الاقتصاد السوفيتي من أعباء التسلح لكي يحقق للشعب السوفيتي حياة أفضل واذا استطاع أن يتخذ الخطوات الاولى نحو ارساء قواعد العلاقات الطبيعية مع الولايات المتحدة . اذا استطاع كل ذلك فقد يجد مرونة أكثر مما كان يتوقع الغرب عند الدخول في مفاوضات مع الجانب الامريكي .

ومستر خروشوف ومساعدوه يريدون تبادل التجارة على نطاق أوسع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي • ويعتقد مستر خروشوف أن الطريق الوحيد لضمان رفع مستوى المعيشة السوفيتي لكي يصل الى مستوى المعيشة الامريكي هو الاستعانة بالنظام الصناعي في الولايات المتحدة •

وهكذا نجد أن هناك ظروفا مادية ستجعل خروشوف يتقدم ببعض العروض التي ستؤدي الى ايجاد تقارب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي • وهناك عامل آخر سيحقق هذا التقارب وهو شبح الصين بتفوقها في عدد السكان وتقدمها السريع في مجال الصناعة واحتمال حصولها على الاسلحة الذرية •

الفصل الرابع

الشرق والغرب

معنى التعايش

لقد قيل الكثير عن التعايش السلمى حتى أصبحت هذه العبارة معروفة للجميع ، ولكنها مع هذا مليئه بالمعانى • وسواء كنا ندرك هذا أو لاندركه فان التعايش السلمى كان منذ وقت طويل حقيقة من حقائق الموقف الدولى • صحيح انه بذلت محـــاولتان منذ ثورة اكتوبر لمنع أو تشويه التعايش • المحاولة الاولى بعـــد عام ١٩١٧ مباشرة عندما تدخلت الدول الغربية فى روسيا وحاربت البلشفية فى حين كانت روسيا البلشفية تؤمن بقرب حدوث الثورة العالمية •

والمحاولة الثانية كانت خلال الحرب العالمية الثانية عندما رفضت ألمانيا النازية أن «تتعايش» مع الاتحـــاد السوفيتى كمـــا عجزت عن التعايش مع الديمقراطيات البورجوازية فى العالم الغربى أيضا ، وبصرف النظر عن هاتين الحادثتين الهامتين ، ظل التعايش السلمى قائما عشرات السنين •

وهناك بالطبع أنواع مختلفة من التعايش فالنظم الاجتماعية المتعادية قد يواجه كل منها الآخر فى عداء شديد، ولكن دون الالتجاء الى استخدام السلاح وربما يعيش كل منها جنبا الى جنب ، ويتجاهل كل منها الآخر مع انه من العسير أن تتصور مثل هـــذا الموقف بين حكومات اصبح العداء فيها شيئا طبيعيا كما اتخذ مظهرا دوليا •

والروس يعلنون صراحة انهم ينظرون الى التعايش الســـلمى على أنه صراع تنافسى بين النظم الاجتماعية المتعارضة ، صراع يجب أن يدور فى مجال اقتصادى وبالوسائل السياسية ولكن يجب ألا يؤدى الى حرب أو الى تهديد بالحرب يتمثل فى سباق التسلح الحالى•

هذا هو مايسمى بالتحدى السوفيتى للغرب فما مغزاه وما هى نتائجه؟

اننا نعرف أن الاتحاد السوفيتي هو فى الوقت الحاضر ثانى الدول الصناعية فى العالم ، وهو يطمع فى تحقيق المساواة الاقتصادية مع الولايات المتحدة ثم يصبح بعد ذلك فى خلال عدة سنوات اغنى الدول الصناعية في العالم • وبما أن معدل التوسع الصناعى فى الاتحاد السوفيتي اعلى مما هو فى الولايات المتحدة فمن المحتمل أن تلحق روسيا بأمريكا فى المستقبل القريب • ومع أن مستويات المعيشة السوفيتية قد تظل منخفضة عن المستويات الامريكية فى خلال السنوات العشر القادمة، فمن المؤكد أن المستويات السوفيتيه سوف ترتفع عن المستويات الاخرى فى أوربا الغربية . وسيكون هذا انتصارا ضخما لشعب كان مستوى معيشته فى المدة الاخيرة أقرب الى مستويات المعيشة فى الصين والهند منه الى مستويات المعيشة فى أوربا الغربية •

ولكن الشيء الذى يهمنا فى هذا المجال ليست الاحصائيات المقارنة للانتاج والاستهلاك • فالمشكلة ليست من الذى سيتفوق على الآخر في الانتاج ومتى ؟ واذا كان الامر يقتصر على هذا ، لما أصبح يشكل التوتر الفعلى الذى ظهر الآن • فيجب علينا أن نتوقع تغيرا فى ميزان القوى العالمى • ولقد حدثت تغيرات مماثلة على نطاق ضيق فى الماضى ، دون أن تتسبب فى خلق مشكلات اجتماعية وسياسية ومذهبية • فحتى نهاية القرن التاسع عشر كانت بريطانيا أكبر دولة صناعية فى العالم • ثم لحقت بها الولايات المتحدة وألمانيا وتفوقتا عليها • والتغير الذى يحدث الآن مختلف من حيث النوع ومن حيث المدى • فعندما لحقت ألمانيا والولايات المتحدة ببريطانيا لم يغير هذا النجاح من النظام الاجتماعى الذى كان سائدا فى بريطانيا فقد حققت الدولتان تفوقا داخل اطار من العلاقات والنظم الاجتماعية التى تشبه الى حد كبير العلاقات والنظم السائدة فى بريطانيا ، ووصول دول جديدة الى مرحلة النضج الاقتصادى أظهر فقط حيوية المجتمع البورجوازى وقدرته الضخمة على التوسع . وضعفت بريطانيا كامبراطورية عالمية ولكنها نجحت ـ من خلال ضعفها هذا ـ فى تأكيد المبادىء التى يقوم عليها تنظيمها الاجتماعى •

وتفوق الاتحاد السوفيتى سيضع علامة استفهام ضخمة على

بناء المجتمع الغربى • ومن الناحية النظرية ليست علامة الاستفهام هذه شيئا جديدا • فالاشتراكية عموما والماركسية بصفة خاصة ظلت تتحدى واقع النظام البورجوازى أكثر من قرن من الزمان •

وأغنى الدول الغربية يجب أن تسأل نفسها من جديد مامدى التقدم الذى يمكنها احرازه داخل اطار مجتمعاتها الحالية ؟ وصحيح ان هذه الدول استطاعت أن تحقق داخل هذا الاطار مستوى معيشة مرتفع نسبيا ، كما استطاعت ان تنال حرياتها السياسية ؟ ولكن أين تسير هذه الدول من هنا ؟ هل تستطيع الدول الغربية أن تضمن نسبة التوظف الكامل على أنه الوضع الطبيعي لاقتصادها هل تستطيع أن تضمن استمرار رخائها الذى وصلت اليه بعد الحرب ؟ وحتى اذا كانت تستطيع ذلك فان هذا سوف يسمح لها فقط بالمحافظة على نسبة من التقدم ليست متكافئة اذا ماقورنت بنسبة التقدم فى الاتحاد السوفيتي، وغير متكافئة أيضا بالنسبة لاحتياجات الثورة الحالية فى الميدان العلمى والفنى هل الدول الغربية مستعدة الآن للسير فى ركب هذه الثورة الدائمة ؟ هل تستطيع المشروعات الخاصة مسايرة المشروعات الحكومية فى ميدان التقدم الفنى ؟ هذه الأسئلة هى جوهر التحدى السوفيتى للغرب •

سيكون من الخطأ بالنسبة للغرب ان يأخذ بمعنى التعايش التنافسى الجديد • والرد الغربى المقنع للتحدى السوفيتى يمكن أن يتمثل فى اظهارأعلى درجة من الكفاية • أى قدرة الغرب على تحقيق التوظف الكامل ومستوى معيشة مرتفع بدون الالتجاء الى التسلح وتحقيق هذه الاشياء فى الوقت الذى يعمل فيه على تقوية تراثه من الحرية السياسية • هل يستطيع المجتمع الغربى أن يواجه التحدى السوفيتى بهذه الطريقة ؟

وهناك مظهر آخر للتحدى الروسى وهو يتمثل فى الجهود التى تبذل الآن لادماج اقتصاديات الاتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية والصين ونحن نعرف أن الروس وضعوا نواة لسلطة تخطيط دولية فى لجنتهم الخاصة بالمساعدات الاقتصادية المتبادلة • كذلك قاموا بعدد من المشروعات التى تهدف الى توزيع الصناعات الانتاجية فى جميع أنحاء الاتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية ، والغرض من هذا هو تجنب تركيز الانتاج فى مكان واحد والتشجيع على التخصص

والتنسيق وهو مايعرف بالتقسيم الدولى المخطط للعمل • وليست هناك حواجز جمركية حقيقية داخل الكتلة السوفيتية كما أنه ليست هناك اجراءات خاصة لحماية مصالح معينة مع أن هناك تدخل من الطبقة البيروقراطية وتوتر سياسى بين الاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية • ولكن عدم وجود حواجز اقتصـادية محدودة يعد ميزة كبيرة تمكن أعضاء الكتلة السوفيتية من التقدم اقتصاديا والانتقال من دولة الى دولة فيما يشبه المجتمع الدولى •

كيف سيواجه الغرب هذا التحدى ؟ هل يستطيع الغرب أن يتغلب على القوميات الاقتصادية ويتجاهل اجراءات الحماية الخاصة ويزيل الحواجز الجمركية ويدمج اقتصـــادياته ؟ هل تستطيع المؤسسات الصناعية الضخمة فى أمريكا الشمالية أن تندمج مـــع مؤسسات أوربا الشرقية وتضع معها خطة للتقسيم الدولى للعمل ؛ ان أوروبا فى الوقت الحاضر منقسمة الى منطقة السوق المشتركـة ومنطقة السوق الحرة ، وكل من هاتين المنطقتين تنظران بعـــين القلق الى الامكانيات الضخمة التى تتمتع بها الولايات المتحـــدة والسوق المشتركة السوفيتية تتمتع بوحدة أكبر والهـــدف من السياسة هناك هو ادماج مناطق التجارة والصناعات . ويجب أن نذكر هنا أنه اذا نجحت الخطة السوفيتية فان هذه السوق المشتركة الشيوعية وهذا الاقتصاد الموحد سيشكلان وحده قائمة بذاتها ربما تكون فى نهاية هذا القرن اربعة أو خمسة أمثال السوق الامريكية وضعف السوق الامريكية وسوق أوروبا الغربية معا •

وأود هنا أن أبحث النتائج والآثار التى ســـتظهر فى الدول المتخلفة نتيجة لهذا المخطط فشـــعوب الدول المتخلفة ترى الآن ماحققته روسيا ـ التى كانت الى عهد قريب دولة متخلفـــة ـ على أساس الملكية العامة والتخطيط •• والآن ترى هذه الشعوب أن الصين تسير على الخطة السوفيتية نفسها ولكن فى ظروف مختلفة • ومن الطبيعى أن تتساءل شعوب الدول المتخلفة لماذا لاتسير هى الاخرى فى أعقاب روسيا والصين ؟ وقد لاتدرك هذه الشعوب الثمن الذى دفعه الروس فى صورة جهد مضن حتى وصلوا الى هذه الدرجة ولكن حتى اذا كانت هذه الشعوب تدرك هذا ، فانها تستطيع أن تأمل فى تجنب مثل هذا الثمن الذى دفعه الروس •

والعلاقات بين الهند والصين وبقيةالكتلة السوفيتية حساسة من هذه الناحية فهنا تتركز مشكلات التعايش التنافسى • فقدكانت الصين أسرع من الهند فى التقدم الصناعى • ويقول الاقتصاديون الهنود أن الزيادة فى الانتاج الزراعى بالهند كانت بطيئة جدا اذا ماقورنت بالزيادة فى عدد السكان لدرجة أنه فى السنوات القليلة القادمة سيتعرض عشرات الملايين من الرجال والنساء فى الهند للموت جوعا اذا لم يتخذ اجراء سريع وحاسم فى هذه اللحظة بالذات لتغيير هذا الوضع • ولكن يبدو أنه لم يتخذ أى اجراء حاسم حتى الآن • وفى الوقت نفسه نجد ان الصينيين ضاعفوا من انتاجهم للمواد الغذائية بصورة ضخمة والمعروف أنهم يزرعون كميات من الأرز أكبر مما تنتجه بقية دول العالم ويوزعون هذا الارز على عمالهم مجانا • ولا يمكن أن يكون هناك تناقض أوضح من ذلك وسوف يزداد هذا التناقض وضوحا اذا أصبح ملايين من الهنود مهددين بالمجاعة فى حين يستخدم الفائض من محصول الارز الصينى لمساعدة هؤلاء الهنود الجائعين وسيكون هذا بمثابة تطور خطير فى الصراع بين الشيوعية والرأسمالية فى آسيا وآثار حركة التصنيع فى الصين سوف تظهر أيضا فى خلال العقد القادم • والصين مدينة بهذا التغير الذى أحدثته فى نظامها الاجتماعى للمساعدة السوفيتية • هل يستطيع الغرب مساعدة الدول المتخلفة بالطريقة الفعالة نفسها التى ساعد بها الاتحاد السوفيتى الصين الشيوعية ؟ هل تستطيع أية مساعدة أجنبية ان تكون مجدية فى أى دولة متخلفة تحتفظ بنظامها الاجتماعى القديم ؟

وكان الاتحاد السوفيتى يساعد الصين وغيرها من الدول المتخلفة ليس بالسلع الاستهلاكية وانما بالمعدات الصناعية والخبرة الفنية • فالخبراء السوفيت يدربون الفنيين والعمال فى الصين وغيرها من دول آسيا • وهناك عدد كبير من الفنيين والعمال من تلك الدول يدرسون الآن فى الجامعات السوفيتية والمعاهد الفنية ويتدربون عمليا فى المصانع السوفيتية • وهذه هى أرخص وأهم مساعدة فهى لاتتكلف كثيرا مثل المعونات الامريكية التى تقدم فى صورة سلع استهلاكية • وهى تعين الدول المتخلفة على مساعدة نفسها • وأثر المساعدة الأمريكية سطحى وهذا هو السبب فى أن الأمريكيين لايتلقون الشكر على هذه المساعدات فى تلك الدول • أما

نتائج المساعدة السوفيتية فهى مستمرة وأولئك الذين يحصلون على مساعدة يشعرون أنهم نهضوا من مرحلة التخلف الى مرحلة الاعتماد على النفس ويقول الروس : اننا نستطيع أن نفعل كل هذا لاننا لسنا خائفين من المنافسة الاجنبية • فنحن لانخاف على أسواقنا ولا نخاف من اقتسام الخبرة الصناعية أما الراسماليون الغربيون فلا يستطيعون ان يفعلوا ذلك ، وهذا تحد آخر يجب على الغرب أن يواجهه .

لقد قصرت حديثى حتى الآن على المسائل الاقتصادية فى التعايش التنافسى فهذه المسائل هى أهم ما يشغل أذهان الدول الغربية فى الوقت الحاضر ولكن معظم السياسيين والمعلقين الغربيين لايعتقدون أن التعايش سوف يقتصر على الناحية المادية فقط . فنحن لانستطيع أن نكرر دائما أن المسألة الرئيسية فى التعايش ليست من النوع الذى سيتفوق على الآخر فى الانتاج ومتى أومن الذى سيحصل على مستوى معيشة أعلى؟ ان التحدى فى النهاية سيتخذ مظهرا روحيا • وحتى الآن فان المجالات التى يجد الغرب فيها صعوبة فى منافسة السوفيت هى السياسة الاجتماعية والتعليم ، فالروس يكملون الآن فترة انتقالهم نحو جعل ساعات العمل فى المصانع مابين ٣٥ و ٤٠ ساعة أسبوعيا وهم يعتزمون تخفيض هذه الساعات الى مابين ٣٠ و٣٥ ساعة فى الفترة من ١٩٦٤الى ١٩٦٨ أما أوربا الغربية فتعمل ساعات أطول • وحتى فى انجلترا بدأت بعض نقابات العمال تطالب بتخفيض ساعات العمل الى ٤٠ ساعة أسبوعيا وغالبا مايعوض العمال طول ساعات العمل بالاقتصاد فى جهدهم والعمل ببطء • والصناعة فى أوربا ليست فى موقف يسمح لها بتخفيض ساعات العمل الى ٤٠ ساعة وعندما يقرر الروس تخفيض ساعات العمل الى مابين ٣٠ و ٣٥ ساعة هل ستحاول الصناعة فى أمريكا الشمالية أن تتبع هذا المثل ؟ واذا لم تفعل ذلك فان الطبقات العاملة ستدرك مدى الظلم الواقع عليها • وهنا يوجد أخطر تحد فى السياسة الاجتماعية يتعين على الغرب أن يواجهه •

أما فيما يتعلق بالتعليم فنحن نعرف أن الروس يدربون عددا من المهندسين والفنيين أكثر من أية دولة غربية أخرى وفى ذلك الولايات المتحدة .

كذلك ادخلوا نظاما فريدا لتعليم الشباب وفضلا عن هذا فان سياستهم الاجتماعية والتعليمية مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا وثيقا .

وبينما تهدف السياسة الاجتماعية الى تخفيض ساعات العمل وتخفيف العبء الواقع على العمل الانتاجى نجد أن السياسة التعليمية تهدف الى نشروتحسين النظم التعليمية، فالعامل عندما يغادر مصنعه بعد ساعات العمل القليلة يستطيع تمضية أوقات فراغه بطريقة مفيدة . فهو لايقع فريسة لوسائل التسلية التجارية ولبرامج التليفزيون والمقالات الصحفيه المثيرة .

صحيح أن أوقات فراغه كان يفسدها دائما الدعاية المذهبية التى تهاجم النظم الاخرى حتى لقد قيل ان ستالين جعل الروس يأكلون الخبز مع النظريات المذهبية ولكن في عهد خروشوف اصبح الروس يأكلون كثيرا من الخبز مع قليل من هذه النظريات، ولكنهم مازالوا يحصلون على كمية كبيرة من الآراء الشيوعية وغيرها ، وعلى الرغم من أخطاء الروس فانهم يميلون دائما الى تعليم الاذهان بدلا من تجميدها فهم يحاولون على الأقل أن ينموا فى الشعب احساسا بالتضامن وأحيانا يفعلون ذلك بطريقة جدية تستحق أن يحسدها الغرب . ومهما يوجه من انتقادات الى طريقة الحياة السوفيتية فانها قضت على عزلة الفرد .

كذلك يجب الا نتجاهل الأثر الذى تتركه صورة المستقبل على الشعب السوفيتى ، فالروس يتوقعون أنه فى عام ١٩٨٤ ستصبح ساعات العمل أربع ساعات أو ثلاث ساعات يوميا . هل هذا حلم بعيد ؟ اننى لاأعتقد ذلك . فالتقدم الفنى الذى يجب أن يسمح بتخفيض ساعات العمل الى ثلاث ساعات أو حتى الى ساعتين قبل نهاية هذا القرن . فمنذ مائة عام لم يكن أجدادنا يرحبون بتخفيض ساعات العمل الى ست أو سبع ساعات يوميا ولكن بعد اختراع الالة أمكن تخفيض ساعات العمل الى النصف ومضاعفة ثروات الدول الصناعية وعلى أية حال فان الاربعين عاما القادمة سوف تحقق تقدما فى تخفيض ساعات العمل اكثر مما تحقق فى مائة العام الاخيرة .

وبتخفيض ساعات العمل يستطيع العامل أن يمضى بقية وقته

فى الاطلاع والدراسة والبحث والرياضة وما الى ذلك . وسيختفى عند ذلك تقسيم المجتمع الى طبقات عاملة وطبقات مرفهة. كذلك ستختفى الهوة التى تفصل بين العمل الفكرى والعمل اليدوى .

واخيرا بدأ الروس يفكرون الآن فى أن التقدم الفنى والتطور الاجتماعى والعلمى أصبح بمثابة جسر متين يربط واقع اليوم بصورة المستقبل .

هل لدى الغرب شيء أفضل وأكثر واقعية والهاما يتقدم به فى هذا التنافس ؟ هذا هو أهم سؤال فى التعايش التنافسى .

وبالطبع لدى الغرب حرية سياسية . وهذه الحرية ليست فى الاتحاد السوفيتى أو فى الدول الخاضعة للحكم الشيوعى ـ وقد اكتشف الروس فعلاً أنهم فى حاجة الى حرية لكى يكونوا على درجة من الكفاية الاجتماعية . وفى السنوات القادمة سيكتشفون ان جرعات الحرية التى يقدمها لهم زعماؤهم صغيرة جداً . واعتقد أنهم سوف يطالبون بالمزيد . كما اعتقد أن حكامهم سوف يحققون لهم هذه الرغبة .

وفى اعتقادى أن العقد القادم سيحقق زيادة تدريجية فى الحرية المدنية مع أنه قد تحدث نكسات وقتية واشتباكات قوية بين الحاكم والمحكومين .

وهذه العوامل سوف تؤثر فى التعايش التنافسى . وحتى الآن استطاع الغرب أن ينتصر فى كثير من المعارك الأدبية والسياسية ضد روسيا لأن روسيا كانت دولة استبدادية ولأن آلهة الحرية كانت تحارب بجانب الغرب . وفى الغرب كانت أيضا حصون الصناعة وتحاول روسيا الآن أن تبنى لنفسها حصونا صناعية ضخمة كما أن الجيل السوفيتى الجديد يتشوق الى رؤية آلهة الحرية داخل معسكره وفى هذه الحالة ستتضاءل المزايا الأدبية التى كان يتمتع بها الغرب حتى الآن .

وهناك طرق مختلفة يستطيع بها الغرب أن يواجه هذا التحدى المزداد فقد يتخذ موقفا يتسم بالخوف والفزع ، وقد يتخذ موقفا يتسم بالجرأة والشجاعة وقد يتمسك بالأنظمة القديمة أو يسعى الى ايجاد وسائل تنظيمية جديدة واحداث تغييرات داخل اطار المجتمع

وما زالت لدى الغرب أرصـــدة ضخمة ، فهـو يتفوق على الـــكتلة السو فيتية فى الميدان الصناعى و فضلا عن هذا فان أمنيةالسو فيت هى أن يلحقوا بالولايات المتحدة • كذلك مازآل الغرب يتمتع بميزة الحرية السياسية • والغرب غنى بتراثه الثقافى ـ وهذا التراث اقدم وأكثر تنوعا من التراث الروسى •

واذا اهتم الغرب بهذه الأرصدة واستخدمها بطريقة صحيحة فانه لن يكون هناك مايدعو الى الخوف • واذا تعـلم الغرب أن يواجه المستقبل بدلا من أن يتعلق بالماضى فان هذا التحدى لن يشكل أى تهديد بالنسـبة له ومن يدرى ؟ ربما يتحول التعايش التنافسى من المنافسة المريرةالى التعاون المجدى ؛ هذا بكل تأكيد هو الأمل الوحيد أما الطريق الآخر فلن يكون سوى الابادة بالنسبة للطرفين •

تم الكتاب

هيئة قناة السويس

الحياة الاجتماعية

ان طاقة الفرد الانتاجية مرهونة بتوافر وسائل اظهارها وتنميتها ، فاذا ماتوافرت لعامل مقومات العمل المنتج من رزق وفير وسكن مريح واطمئنان على المستقبل ، تضاعفت قواه وازداد نشاطه وجزل انتاجه ٠

تلك هى القاعدة التى تطبقها هيئة قناة السويس على مستخدميها من موظفين وعمال : رواتبهم مرضية ومساكنهم صحية وتباشير مستقبلهم جديرة بأن تبعث الاطمئنان فى القلوب ٠ وفى هذا الجو المشبع بروح السكينة والاستقرار يعمل ما يقرب من ١٠٠٠ موظف وحوالى اربعة آلاف عامل ليضمنوا نجاح سير المرفق العظيم ٠

كما توفر الهيئة لموظفيها وعمالها وسائل التقرب الى الله حتى يؤدوا فروض دينهم كاملة ٠ فالعمال الراغبون فى تأدية فريضة الحج يحصلون على اعانة ستون جنيها تعطى لهم مرة واحدة خلال خدمتهم ٠

كما تشجع الهيئة عدة مدارس اسهاما فى تربية النشىء الجديد وتزودها بالاعانات المادية والمعنوية ٠ وتضع تحت تصرف مستخدميها ـ بايجار زهيد ـ ١٣٧٤ مسكنا شيدت خصيصا من اجلهم وروعى فى تصميمها توافر كافة اسباب الصحة والراحة ٠

طبع بمطابع الدار القومية للطباعة والنشر



الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون ٤٠٧٥٣ / ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ / ٤٠٨١٤



العدد ٢٩٣ الثمن ٣ قروش